# الحب المفقود

## مجموعة قصصية

أحمد صبيح

هلا للنشر والتوزيع

**بطاقة فهرسة**

صبيح، أحمد

الحب المفقود / أحمد صبيح .- الجيزة : دار هلا للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨

ص؛ سم.

تدمك ٩ ٣٢١ ٣٥٦ ٩٧٧

١ - القصص العربية القصيرة

أ - العنوان ٨١٣,٠١

اسم الكتاب : الحب المفقود

تأليف : أحمد صبيح .

الناشر : هلا للنشر والتوزيع .

6 شارع الدكتور حجازى الصحفيين - الجيزة

تليفون : 33041421 فاكس : 33449139

الموقع الإلكترونى : www.halapublishing.net

البريد الإلكترونى : hala@halapublishing.net

مدير التسويق : hazim@halapublishing.net

رقم الإيداع : 2008/3635

الترقيم الدولى : 9- 321 - 356 - 977

طباعة : هلا للنشر والتوزيع

طبع وفصل الألوان : هلا للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف : خالد الصواف

الطبعة الأولى

1429 هـ 2008 م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر

# مقدمة

تتناول تلك المجموعة القصصية عدة قصص تغور فى أعماق النفس البشرية، وتنقل لنا مشاهد من الإحساس بالألم عندما تضطرب النفس ويفقد الإنسان قدرته على الحب ....

حب خالقه؛ فيصبح ضائعًا تافهًا تتقاذفه الأهواء الشيطانية...

حبه لنفسه، فتهون عليه ويتمنى لها الخلاص ...

حبه للناس، فتصبح حياته جحيمًا والاستقرار فيها عذابًا !

والحب هو جوهر المعاناة والخروج منها، فالنفس البشرية توّاقة لسماع كلمة طيبة وابتسامة مخلصة ويدٍ حانية ... إلى المشاركة فى المشاعر والأحاسيس وتفريغ الشحنات الضاغطة ... فالحب هو الحياة ... ولم يخلق الله إنسانًا لم يخفق قلبه بالحب ولا امرأة لم تذق طعم الحب وحُلْمها الدائم بفارس مغوار يأخذها على جواد أبيض تنسج معه قصص الغرام الوردية ... لكن عندما تصدم بالواقع المادى الذى نعيشه وأن الزمن الجميل مضى وانسحب معه

إلى الظل الكثير من المشاعر الإنسانية، تتمنى الموت رافضة الحياة الجوفاء ... فيعيش الجسد بلا روح وتعلو النفس فوق نطاق المادة إلى عالم اللاأشياء عالم اللامحسوس ... عالم تتماسك وتتواصل فيه العواطف والأحاسيس والأفكار والأخيلة والمعانى الجميلة بالحب ... فإذا مات الحب هوت النفس رويدًا رويدًا معلنةً نهاية وجودها الدنيوى الأرضى، مواريةً مكان حبسها "القفص العظمى" الجسد الفانى إلى أصله الترابى ... محلقةً فى السماء ... راجعةً إلى ربها راضية مرضية ...

**أحمد صبيح**

# أبـــو خُنَّـــة

عرفته منذ صغره فهو قادم إلى قريتنا من إحدى محافظات مصر بصحبة أسرته، والده يعمل عاملاً فى أحد مصانع البلدة التى شيدتها ثورة يوليو ... يقطنون بالإيجار فى منزل صغير قديم قد هجره أهله وسافروا إلى القاهرة لظروف عملهم وطمعًا فى تغيير معيشة أولادهم، سواء التعليمية أو الصحية بعيدًا عن القرية المُهمَلة فى كل شىء والمظلوم أهلها ، قريتنا صغيرة الكل قرايب أو نسايب أو جيران أو أصدقاء والجميع يسعون إلى جلب الخير لبعضهم البعض ...

الصغير يحترم الكبير ويوقِّره والكبير يحنو على الصغير ويعظه ويرشده ويسانده ويدربه ، ويتمنى له كل الخير ، نعرف بعضنا البعض حتى الأسماء والألقاب نعرفها فى الريف، نطلق على بعض من لهم صفة لصيقة بهم لقبًا معينًا ويُقال له من قَبِيل المداعبة ...

شباب البلدة يخافون على فتيات القرية ويدفعون عنهن معاكسات فتيان القرى المجاورة وشباب المدينة، أثناء ذهابهن إلى مدارسهن أو إلى الجامعة ...

كلنا نعرف أن هذه الفتاة بنت عمى فلان وتلك بنت عِلاَّن، فلا يجرؤ إنسان أن يتفوَّه بكلمة واحدة تجاه أية بنت.

الأطفال والصبية والشباب يهابون ويخافون من كل رجال البلدة، فلا يخطئون أمامهم خوفًا من أن يصل خطؤهم إلى آبائهم، ولا يدرون ماذا سيحدث بعد ذلك العقاب الشديد من أجل التربية والتهذيب ...

كنا نتقابل كصبية فى كُتَّاب سيدنا بعره نتعلم ونتدارس القرآن الكريم ونجتهد فى حفظه ...

أى غريب عن البلدة يأتى إلينا نحترس منه ونضعه تحت الميكروسكوب لفترة ما قبل أن يدخل بيوتنا، هكذا تعلمنا من الأكبر منا ...

وما إن دخل شفيق بيتنا وشاهدته أمى، حتى قالت لى: لا تصاحب هذا الولد يا بنى شكله غير مريح للنفس، وتصرفاته وحديثه تنم أن هذا الولد سيكون شرِّيرًا. ولم أحاول النقاش مع أمى واكتفيت بسماع كلامها واقتصرت علاقتى معه من بعيد لبعيد...

لم يدخل بيتنا منذ هذه اللحظة عرفته أمى بالفطرة الإيمانية... ظلت صُحبتنا مع شفيق من خلال المدرسة ومركز الشباب ... لكن ظل شفيق مكروهًا بين الأصدقاء والأصحاب

لصفاته الرديئة الواضحة للجميع .. يحب نفسه ويكره الآخرين ، نمَّام وينقل الكلام ويوقع بين الزملاء .. أصبح الجميع يتجنبونه ...

كان شفيق صاحب لحمية فى أنفه تجعله عندما يتحدث يتكلم بخنة ملحوظة، أى يغلُب على حروفه أثناء النطق حرف الخاء ...

فكنا نطلق عليه شفيق " أبو خنه " ثم تركنا كلمة شفيق واكتفينا باللقب " أبو خنه "، وأصبح شفيق معروفًا بالبلدة "أبو خنه" فين ؟ " أبو خنه " ... ؟ وكبرنا وتركت البلدة، أقصد قريتنا، وذهبت إلى القاهرة لأواصل دراستى فى كلية الحقوق ...

وفشل شفيق فى مواصلة تعليمه ، واكتفى بالابتدائية وعمل فى الوحدة المحلية لبلدتنا فى أعمال كتابية، وأنا أعرف جيدًا أن "أبو خنه" كان يتميز بخطه الجميل. سبحان الله الخط موهبة! ... يمكن خطه كان شفيعًا له فى أن ينال هذه الوظيفة ... يمكن ينصلح حاله ...

وانقطعت صلتى بـ "أبو خنه" إلا عندما أقابله فى تأدية واجب عزاء أو مناسبة سعيدة أو أقابله مصادفة فى الإجازات الصيفية ، وعرفت أنه تخصص فى كتابة الشكاوى لأصحاب النفوس الضعيفة فلان ضد فلان، أو كتابة شكوى للمسئول فلان. أصبح "أبو خنه" يخافه الناس من كثرة مشاكله وهوايته إيذاء الناس ...

وعندما قابلته فى إحدى مرات حضورى للقرية، نهرته على أفعاله المشينة التى أغضبت الكثير والكثير من أهل البلدة. قال لى إنه بيسترزق ومبيعملش حاجة غلط ...

وتمر الأيام وأتخرج بتفوق وأعمل وكيل نيابة وأتزوج وأستقر فى القاهرة ، وأصبح ذهابى إلى القرية قليلاً جدًا ...

وكبر شفيق وكبرت أحقاده وسمومه الدفينة، بدأ يُخْرجها وينثرها على الناس الطيبين ، والناس تستغيث. أصبح " أبو خنه " متخصصًا فى شهادة الزور فى المحاكم المختلفة، فإذا أراد صاحب شأن له قضية متداولة فى إحدى المحاكم ويريد شاهدًا يشهد فى المحكمة لصالحه دون اكتراث بالحقيقة، يذهب إلى شفيق ...

فهو متخصص فى الفبركة أقصد فبركة القول أقصد قول الزور والعياذ بالله، وساعده فى ذلك محام من نوعيته يقطن فى إحدى المدن الكبيرة تعرَّف إليه شفيق فى إحدى مقابلات المحاكم ، كنت أسمع ذلك ولا أصدق ما أسمع هل تصل بشفيق أن يشهد شهادة تغضب الله ورسوله يا لها من كارثة ! إنه سوء التربية منذ الصغر ... أمن أجل المال تشهد الزور يا " أبو خنه " يلعنك الله بما تقول " والذين يشهدون الزور لهم عذاب أليم " ، ويقول الله عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم " يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسوَدَّة " ألم يعلم أن شهادة الزور من الكبائر. قال

رسول الله ﷺ : "إن من أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين"، ثم قعد وقال : "ألا وقول الزور، ألا وقول الزور ...".

ارحمنا يا رب إن حصائد اللسان خطيرة وبشعة، وقد عالجها رسولنا ﷺ فى ثلاث كلمات قال : "كُفَّ عليك هذا" ، وعندما جئت إلى البلدة فى تأدية عزاء أحد أهالى البلدة قابلت شفيق فى المعزى...

وجدته يجلس منبوذًا فى أحد جوانب المنزل (دار المناسبات) يجلس بجانبه بعض المعزين من القرى والمدن المجاورة وبعض المحامين الذين اتبعوا الهوى ... !

والكل ينظر إليه نظرة مشبعة بالأسى والكراهية ... بعض الأهالى يلتفون حولى فرحين بقدومى كعادتهم يطلبون بعض الخدمات لهم وأحاول تلبيتها، فأنا منهم وهم يعلمون ذلك وأنا سعيد بذلك ...

يأتى ناحيتى شفيق منحنى الرأس ينظر إلى أسفل فى حالة كسوف ...

- حمدًا لله على السلامة يا سعادة الباشا
- أهلا يا شفيق ... أخبارك أيه ؟
- كويس يا سعادة الباشا

■ أنا عاوزك بعد العزا، هكون فى دَوَّار العمدة

■ حاضر يا باشا ... خير فيه حاجة يا باشا ؟

■ عاوز أكلِّم معاك شوية

■ أنا تحت أمرك يا باشا .

ويبدأ المقرئ يقرأ القرآن الربع الأخير بعد تأدية صلاة العشاء، ودار المناسبات مَلأى عن آخرها ...

وبعد انتهاء العزاء أكد أهالى البلدة بضرورة معاقبة أبو خنه «شفيق أفندى» عما يفعله مع أهالى البلدة ومع الفلاحين الغلابة من القرى المجاورة، ومع مظاليم كثيرين شهد ضدهم شهادة زور أو كتب شكوى أضرت فلانًا ...

قلت لهم أنا سوف أنصحه بالحُسنَى، وإن لم يرتدع فسأتخذ معه الطرق القانونية حتى يرتدع ... وصحبنى أخى وأولاد عمى وبعض أقربائى فى سيرنا إلى دوار العمدة لملاقاة " أبو خنه " ...

وفور وصولى إلى دَوَّار العمدة جاء شفيق يلهث من كثرة شرب السجائر والمعسل وأكل السُّحت، ولعلمه جيدًا أننى سأحدثه فى شكاوى أهل البلدة ...

■ تؤمر يا أحمد بيه

■ الأمر لله يا شفيق، وللا أقولَّك أبو خنه زى زمان

■ أى حاجة يا باشا طول عمرك راجل ابن أصول

■ أيه اللى أنا سمعه ده؟

■ أيه يا باشا؟

■ وصل بيك الحال لشهادة الزور يا شفيق!

■ مين اللى قال كده يا باشا أنا بشهد شهادة حق

■ أنت بتحلف اليمين أمام القاضى؟

■ نعم باحلف

■ وأنت عارف خطورة القسم ده وأنت بتغيِّر الحقيقة ؟

■ أنا بقول الحقيقة يا بيه

■ ليه من أصله تروح تشهد فى واقعة أنت مشفتهاش خالص؟

■ رزق يا باشا، أنا بسترزق من المحامين وبساعدهم

■ بتساعد مين، وده مش رزق ده حرام ... حرام!

■ واحد واقع فى مشكلة بروح أشهد معاه وبقول زى المحامى ما بيقولّى

■ كده غلط يا شفيق

■ أنا عارف بعمل أيه يا بيه وأنا مش صغير ... عارف بعمل أيه كويس

■ أنت مش عارف حاجة ولا عارف دينك ولا عارف عقابك هيكون إزاى

■ عقبنى يا سيادة المستشار

■ المعاقب رينا والمنتقم رينا فى الدنيا والآخرة يا "أبو خنه"

■ مش حضرتك راجل عدل؟

■ نعم يا شفيق، وإياك تقع أُدامى فى أى قضية ححبسك والله العظيم

■ أنا فى خدمة العدالة يا باشا

■ يا شفيق أنت بشهادتك، أقصد شهادة الزور، بتعاقب برىء وبتبرأ متهم أو مجرم

■ أعمل أيه يا سيادة المستشار مليش شغلانه إلا دى

■ وكتابة الشكاوى والعرائض ضد الناس الغلابة

■ مبقتش جاييه هَمَّها يا باشا

■ وماسكلى سبحه فى أيدك وبتروح تصلى فى الجامع!

■ دى حاجة ودى حاجة

■ العياذ بالله ! إزاى بتقف أدام رينا فى الصلاة إزاى !

■ الحساب يوم الحساب

■ مين اللى قال كده ... أحياناً يكون العقاب ربنا معجله فى الدنيا قبل الآخرة

■ أنا مستنّى عقابى فى الدنيا

■ أعوذ بالله من برودك يا أخى ومن إصرارك على الشر!

■ أنت ظالمنى يا سيادة المستشار

■ أنا ظالمك والناس دى كلها ظالمينك يا أبو خنه اسمع قول رسول الله ﷺ عندما سأله سيدنا معاذ (رضى الله عنه): وإنا لمؤاخذون بما نتكلم يا رسول الله؟ فيجيب عليه الصلاة والسلام : ثكلتك أمك يا معاذ ... وهل يكبُّ الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم.

■ أنا بَسَاعد الناس الغلابة

■ أنهى غلابة يا شفيق، قصدك الناس الأغنيا ؟

■ أنا باخد فلوس من المحامين مش من الناس

■ الكلام معاك يا شفيق مش مُجْدِى

■ ليه بس يا باشا؟

■ على العموم أنا بَحذَّرك يا شفيق من هذا الطريق وبكره تشوف انتقام ربنا

■ ماشى يا باشا

■ ارجع لربنا وتوب على أفعالك، وربنا يهديك يا "أبو خنه".

وتركت القرية وعدت إلى القاهرة لأمارس حياتى الأسرية والوظيفية، وأنا أفكر فى كلام أمى منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا. يرحمك الله يا أمى، يا صاحبة القلب الشفاف ... والبصيرة المستنيرة ... وربنا يهديك يا "أبو خنه" ...

صباح يوم السبت ٢٠٠٦/٤/١٨

# اختنـــاق الحـــب

عادل صديق طفولتى وصباى، عشنا فى قرية صغيرة إحدى قرى محافظة المنوفية ... الكل يعمل فى الفلاحة أجيرًا ... لا مالك للأرض إلا قليل القليل الذين ورثوا الأرض أبًا عند جد ... وطبيعى أن تكون الأمية هى صفة أهل البلدة ... كان الانشغال الدائم هو البحث عن لقمة العيش ...

وكان حظنا أنا وصديقى عادل ومَنّ يماثلنا فى العمر أحسن ممن سبقونا، فقد أُنشئت مدرسة ابتدائية فى قرية مجاورة لنا تبعد حوالى كيلو مترين، فكنا نقطع هذه المسافة من خلال أسئلة نطرحها ونجيب عنها لنقتل وقت الذّهاب والعودة ...

وانضمت لصحبتنا هند بنت شيخ البلد لمدة سنتين وتركناها والتحقنا بالمدرسة الإعدادية بالمركز، فنحن نَكْبُرها بأربع سنوات دراسية ...

وكبرت هند ولحقتنا بنفس المدرسة الإعدادية والثانوية المشتركة ، وبدأت ألاحظ اهتمام عادل بهند وتجاوب هند معه

خلال السنوات القليلة التى قضيناهـا معًا. ونتـرك هـند تواصـل دراستها الإعدادية والثانوية ونلتحق بالجامعة لكن فرَّقنا المجموع ، عـادل يلتـحق بكليـة الهندسـة جـامعـة الإسكندرية وأنا بهندسـة القاهرة ...

قلَّت صحبتى بصديقى عادل لانشغالى بالدراسة العلمية وهو أيضًا وأصبح لقاؤنا من خلال الإجازات الصيفية فى قريتنا الأم ، وكنت أتابع أخباره الرومانسية مع هند فكان يطمئننى على وهجه وسعادته معها ويتمنى لى أن أذوق هذه السعادة مع بنت الحلال ، ويرفض أهل هند ذهابها إلى الجامعة لا القاهرة ولا الإسكندرية وترضخ للأمر الواقع ، وتلتحق بمدرسة المعلمين التى أُنشئت حديثًا بالمركز الذى يبعد عن قريتنا عدة كيلومترات تقطعها السيارة فى دقائق معدودة ...

ويحزن عادل وتحزن هند على عدم مواصلة اللقاء. وتُنّهى هند دراستـها فى مـدرسـة المعلمين وتُعيَّن مُـدرِّسـةً بمدرسـة القـرية الابتـدائيـة ، وينهى عـادل دراسته وخـدمـته العسكرية ويعـمل فى إحدى شـركات المقـاولات بالإسكندرية وأنا وفقنى الله فى السفـر إلى دولة الإمـارات العربيـة ، وبدأت أراسل صديقى عـادل لنواصل الاطمئنان على بعض. وجاءنى خطابه الذى يقطر دمعًا، أحسستها عند قـراءتـى لخطابـــه وكـان عادل يبكـى أمامى ... ماذا حدث يا عادل ... ؟!

لقد ذهب لشيخ البلد ليطلب يد ابنته هند وهو كله أمل فى إنهاء قصة الحب التى عاشت منذ سنوات طويلة بالزواج الشرعى الذى أحلَّه الله، لكنَّ أخاها الفلاح الأمى الحقود المتعجرف وقف أمامه وأقنع والده برفض هذه الزيجة لفقره وفقر أهله ... كيف تزوج هند لابن كذا وكذا ونترك فؤاد ابن العمدة المدرس ابن العز، كيف ذلك يا أبى؟ معاك حق يا بنى !

وتتزوج هند من فؤاد ابن العمدة ، ويعيش عادل أيامًا صعبة كره فيها الفقر والمال الذى حال بينه وبين محبوبته. ويرسل عادل خطابًا آخر يرجونى بحق الأُخوَّة والصداقة أن أنتشله من هذه الحالة النفسية بإيجاد فرصة عمل عندى فى الخارج أو فى أى مكان آخر ...

ويكرمنا الله عز وجل بإيجاد عقد عمل أحسن مما أنا فيه لقد أكرمه الله بالعمل فى توسعة الحرمين بالمملكة العربية السعودية ، ويسافر عادل إلى هناك تاركًا هند تتحمل أهوالاً كثيرة فى بعدها عن حبيب القلب وزواجها زواجًا تقليديًّا، مع إيمانها بالمبادئ التى تربت عليها باحترام بيت الزوجية ونسيان الماضى وأن تعطى كل وقتها لزوجها ولبيتها .. لكن عقلها وقلبها !

وتمر الأيام بين مكوث فى الخارج وعودة إلى القاهرة وزواج ثم عودة إلى الخارج ويرزقنا الله بالأولاد ويرزق هند بالأولاد ...

وتكبر الابنة هند أمام أعين أبيها عادل ويكبر الابن عادل أمام أعين أمه هند وبصحبة أخواتهما ...

فقد رزق الله عادل ببنت وولدين ورزق الله هند بولد وبنتين، وزاد الله من رزق عادل فاشترى عدة أفدنة أرض زراعية بالقرية وشيد فى وسطها فيلاً وعمارة مكونة من عدة طوابق، وكذلك شقة تمليك فى إحدى عمارات المركز وشقة أخرى بأرقى أحياء مصر الجديدة وسيارة فاخرة ... وأصبحا يتزاوران مع أسرة هند فهم من أهل قرية واحدة ، واصطنعا النسيان على الأقل ليُظْهِرا أمام الجميع أنهم إخوة ... لكن الحب دفين القلوب رمادا مازال تتبعث منه أدخنة بسيطة على استحياء كلما قرب أن يشتعل من جديد حاولا إطفاءه حتى لا يحترق مَنْ حولهما بناره ...

وتمر الأيام وأنا أتابع أخبار صديقى عادل من خلال التليفونات والمحادثات عن طريق الشات والمقابلات فى أية مناسبة فى البلدة، سواء كانت سعيدة أم حزينة إن جمعتنا الظروف بوجودنا فى مصر فى هذا التوقيت ، وكبرنا معًا وتخطَّينا سنوات الرجولة بسنوات قليلة. وتصلنى مكالمة من عادل يخبرنى بوفاة فؤاد زوج هند بعد صراعه مع المرض والدفنة اليوم ، وأنه سيغادر السعودية متوجهًا إلى مصر غدًا لحضور واجب العزاء ويشد من أزر هند ...

ويعود عادل مرة أخرى لعمله متأثرًا بالظروف التى لحقت بهند ويمكث يفكر ويفكر ... لقد سيطرت عليه فكرة مشروع زواج جديد لا بد أن يرتبط بهند فور انتهاء فترة العِدَّة ... لكن كيف !

لا توجد مشكلة الآن ولا خوف من أحد ولا ظلم لأحد زوجتى وأولادى يعيشون فى أحسن مستوى ، ولهم الأملاك الكثيرة وأولاد هند عندهم الكثير والكثير الموروث عن أبيهم وجدهم ... لكن كيف !

ويحدثنى عادل من خلال التليفون لأكثر من ساعة وفى النهاية أستحلفه بعدم تنفيذ ما يقول على الأقل بعد فترة، وأن عليه مواظبة الاتصال بهند للاطمئنان على أحوالها وأحوال أولادها ، وأن يُغْدق الهدايا على أولادها عند نزوله الإجازة القادمة ليمهد لهذا الموضوع ...

ورضخ عادل لحديثى معه ومرت عدة شهور تقترب من عام وعدنا فى الإجازة الصيفية ، ويتم زواج عادل من هند فى شقته الموجودة بالإسكندرية بعيدًا عن ڤيلّته وعمارته وشقته المعروفة للجميع، رغم الصعوبات التى قابلتهما خاصة هند وتركها لأولادها وتحججها بحجج للغياب عنهم لمدة أسبوعين لمصاحبة ابنها عادل الذى يعرف الماضى أثناء أداء امتحان الترم فى كلية الطب جامعة الإسكندرية ...

ويعيش عادل وهند أيامًا جميلة تجدد خلالها شعلة الحب والرومانسية ووهج الرماد الخامد ... وأصر عادل على أن يأخذ هند معه فى السفر، فطلبت منه الرفق بأولادها وأن يتركها معهم لإقناعهم بالوضع الحالى وحتى لا يشعروا باليتم من الأب والأم أيضًا ...

ورضخ عادل لطلب هند وسافر وحيدًا إلى السعودية وترك هند وأولادها يعيشون فى شقتهم وترك زوجته وأولاده يعيشون فى ڤيلَّته ، ومكث فى الخارج ستة أشهر سافرت هند بمفردها له خلالها مرتين مرة فى عُمْرة رمضان مكثت معه أكثر من شهر وعادت بعد العيد ثم لأداء فريضة الحج ، وعاشا معًا أحلى أيام عمرهما بجوار الأماكن المقدسة. ونسيت هند أولادها ونسيت كل الدنيا، وطلبت منه أن يبدأ فى إجراءات إقامتها معه فى السعودية حتى لا يبتعدا عن بعضهما البعض مرة أخرى : لقد كبر الأولاد ومن حقنا أن نعيش الأيام التى سُلبت منا ظلمًا وعدوانًا وربنا يسامحهم ... !

وتعود هند إلى مصر بعد أن أدت فريضة الحج والكل يعرف أنها كانت بصحبة زوجها عادل؛ حتى زوجته علمت وأولاده وأقرباؤهم وجميع أهل البلدة ... لقد أصبحت هند تنشد الوحدة وتبكى على الأيام الجميلة التى قضتها مع عادل فى أطهر أماكن الدنيا ، لقد أحست بحلاوة الحب الإلهى وحب عادل الطاهر الذى لم يدنسه أى دنس خلال سنوات عمرهما ...

ويعود عادل إلى القاهرة فى مأمورية عمل لاختيار عدة عمال ومهندسين للتعاقد معهم للسفر للعمل بالسعودية وتسعد هند بمجيئه المفاجئ وترجوه ألاَّ يتركها وحيدة مرة أخرى ، إنها لا تستطيع فراقه ولا بضع دقائق ولا ثوان إنها تريد أن تعوض سنوات الفراق التى مضت : ولا يعلم كم سنعيش معًا إلا الله ...

واتفقا على كل شىء ستذهب معه إلى السعودية لا فراق بينهما مرة أخرى، سيذهبان معًا فى أى مكان مهما وقفت أمامهم الصعوبات ...

ولم تمضِ عدة أيام قليلة وهند وعادل يذوقان ويستمتعان بمتع الحب والرومانسية معًا فى شقتهم السوبر لوكس بمصر الجديدة بعيدًا عن أعين الناس ، ولم يُمْهلهما القدر ليرتشفا متع الحب وتذوق رحيقه وكأن السعادة الدنيوية لا تدوم ... هكذا الدنيا ! ... فبينما هما فى قمة الرومانسية والمداعبة فى حمام الشقة، تفيض روحهما فى وقت واحد إلى خالقهما بإذنه والسبب الدنيوى اختناق ...

**٢٠٠٦/١/١٠ فجراً**

# الحـــب المفقـــــود

عشت طفولتى متعطشة لحنان الأُبوَّة برغم اجتهاد أمى فى تعويضنا عن ذلك ، فالأب برغم الثراء الذى ورثه عن أبيه فإنه يقضى طوال الوقت فى العمل فهو ضابط طبيب بمستشفيات القوات المسلحة، ثم العيادة ليلاً ومتابعة أحوال المستشفى الذى تركه له جدى ...

وكنت أسمع شكوى أمى عندما كانت تحدث جدتى من جفاء أبى فى المعاملة لها وأن همه الأكبر العمل ...

وكانت جدتى تنصحها بالصبر وتحمل طبيعة زوجك المزاجية من أجل أولادك، تقصد أنا وأخى الأصغر منِّى ...

يدخل أخى كلية الطب تحقيقًا لرغبة أبى بعد أن خَذَلتُه والتحقت بالجامعة الأمريكية ...

وكانوا يطلقون علىَّ فى الجامعة ألقابًا عديدة مثل فاكهة الجامعة وسندريلاً؛ لما أتصف به من جمال ملحوظ ورِقَّة فى المعاملة مع كل الزميلات والزملاء وأساتذة الجامعة ...

وأتخرج وأعمل فى أحد الأماكن المرموقة التى ينشدها أى خريج جامعة حاصل على دراسات عليا ، ويأتى من يخطبنى شاب وسيم يتصف بصفات الرجولة بنيان قوى ... أسرته معروفة ... عمل مع والدى، إنه ضابط ناجح فى عمله ...

فرحت وسعدت بقدومه .. زوج ينتشلنى من الجمود الذى أعيش فيه، زوج أعيش معه الرومانسية التى أنشدها، يعطينى الحنان والحب المفقود وأعطيه كل مشاعرى وأحاسيسى ويبادلنى ذلك بالحب والمودة ... يحقق لى أحلامى التى نسجتها وانتظرت تحقيقها ...

لم يخطر على بالى أنه سيكون مثل أبى .. لم أستخدم عقلى فى الاختيار ، وافقت بمجرد عرض أبى وأمى هذا العريس زواج تقليدى يابختك يا بو بخيت أنت وحظك! وتمر فترة الخطوبة القصيرة جدًا ونحن نتجمل أمام بعضنا دون أن نعرف حقائق بعضنا ... ولِمَ الانتظار وكل شىء جاهز الشقة مجهزة فى انتظار العروسين...

وأنا متعجلة أن يُغلَق علينا باب واحد لأعيش حياة جديدة سمعتُ عنها من الصديقات دون الدخول فيها ، لم أعش حب المراهقة برغم دخولى الجامعة الأمريكية، فأنا فتاة محافظة وأحترم مشاعرى ولا أحب أن ألوث سمعتى ... فضلت أن أعيش هذه التجارب مع زوجى على سُنَّة الله ورسوله والذى سأرتبط به

مدى الحياة ، ونبنى أسرة سعيدة وننجب الأولاد وتحفُّنا السعادة والحب ...

لقد ادَّخرت كل مشاعرى وأحاسيسى لهذا الزوج؛ إننى أمتلك الكثير والكثير لأسعد به زوجى ...

ويتم زواجنا وليلة عُرْسنا فى أفخم فنادق القاهرة، ونذهب إلى عش الزوجية لنقضى ليلة عمرنا ، أترك زوجى وأذهب لأضىء الشموع الخافتة الضوء وأرتدى أحلى ما عندى ، وأعد العدة من موسيقى هادئة وغيرها من أشياء مطلوبة لتكتمل سعادتى ...

لكن هيهات لقد انهارت أحلامى التى انتظرتها ... ! زوجى الضابط ينهى مهمته بسرعة فائقة وكأنها مهمة مكلف بها ... وأكتفى بذلك ... وأنا ... !

أهذا هو الزواج يا زوجى ... أين الحب والمشاعر والمداعبات السابقة واللاحقة ...؟ بداية غير مطمئنة. ويغوص زوجى فى نوم عميق وأتركه وأستعد لصلاة الفجر، وأعود إلى السرير لينقذنى النوم من أشياء كثيرة ..

وفى اليوم التالى يأتى الأهل والأصدقاء لمباركة زواجنا ويحسدوننا على السعادة التى تغمرنا، وتسأل الصديقات عن ليلة ألف ليلة وليلة وأخبار الرومانسية التى عشناها فأضحك قائلة لهم: عقبالكم لما تعيشوها زيى. وتأتى الليلة الثانية والثالثة ...

وزوجى كما هو ... إنه لا يجيد العزف ... أعلمه ... كيف ... فهمه بطىء... أقول له : عندما تأكل فى أحد الفنادق أو المطاعم الكبرى يأتون بأشياء مثل السَّلاطات والمخللات تُسمى «فاتح للشهية»، مقدمات مهمة حتى تكون المعدة مستعدة لاستقبال الطبق الأصلى فتكون الوجبة هنية ثم تأكل الحلو ... وتستريح ثم تشرب أى مشروب تحبه ...

إنها خطوات متتابعة ومتتالية لا تسبق خطوة خطوة أخرى وهكذا يا زوجى ... افعل كذا وكذا ... أدركت ما أريد ... ستسعد بذلك وستسعدنى ... افعل ! ينجح مرة وينسى فى أكثر المرات حتى مللت فعلته الحيوانية المجردة من كل الأحاسيس ...

وينقذنى استدعاؤه لعمله بعد انقضاء أسبوع من زواجنا وكأنه فرح لذلك كالتلميذ الفاشل الذى يهرب من الامتحان ... !

وأعود لعملى وتمر الأيام ثقيلة وكأننى لم أخرج من سجن الجمود، لم يتغير سوى السجان والسجانين : هناك أبى وأمى، وهنا أنا وزوجى ...

ويفاجئنى تحرُّك الجنين فى أحشائى بعد أقل من شهر ليفسد ما فكرت فيه وتحدثت به مع نفسى ... أأجهض نفسى لأكون حرة فى أخذ القرار ...؟ حرام ... يا سبحان الله هل تتكرر صورة أبى وأمى ... هل سأكون مثل أمى ... لا ... لا .

وتحاول أمى كما حاولت معها جدتى من قبل أن أكمل حياتى وأرضخ للأمر الواقع وأنا فى حالة يُرْثَى لها، ويرزقنى الله بمولود جميل يسعد كل من حوله. ويفرح زوجى بقدوم ولى العهد؛ لكنه لم يتغير ...

أصبحت أنام مع ابنى فى غرفته وأترك لزوجى غرفتى وسريرى المعد لأشياء حُرمت منها من البداية، وأصبح سلواى وأنيسى هو قراءة القرآن الكريم والمواظبة على الصلاة وصيام بعض الأيام ...

ويكبر ابنى رويدًا رويدًا .. كنت أصطحبه إلى النادى لقضاء وقت يلعب ويمرح ويمارس السباحة مع أقرانه وزوجى العزيز يغيب عن البيت بما يقرب من شهر على فترات متقاربة بحجة حاجة العمل ، ويعود لأيام قليلة لا تُسْمن ولا تُغْنى من جوع قد عصر معدتى الخاوية ... !

أتزين له وأتطيَّب بأفخم البرفانات التى تجذب أى جسد طبيعى حتى ولو كان يعلوه طبقات من الجليد فيذوب وينفجر منه بركان ثائر من القوة الجسدية ... كيف ذلك يا زوجى ... وأنت ما زلت فى بداية الثلاثينيات ؟ لقد أديت كل ما عندك وأنهكت قواك المنتهية طبيعيًا فى هذه المدة البسيطة التى لا تُذكر من حياة الإنسان. لقد أغريتنى بجسدك الفارغ الذى أصبح فارغًا حقًا. لقد عزَّت على السعادة التى تنشدها أية فتاة فى سنى .. لا تتركنى

لفـتـرات طويلة دون أن أرتوى ولو بالقليل القليل من الماء ... أنا أعرف قدراتك ... !

نعـم أنـا راضية بهـذا القـليل حـتى أستطيع أن أعـيش .. لا أستطيع أن أبوح بهذه الأسـرار لأى إنسـان فى هذه الدنيـا حـتى ولو كانت أمى ... تحسبنى سعيدة. إن جسدى يحترق كل ليلة وأنا أنام فى حضن ابنى لفـترة حـتى ينام ثم يجافينى النوم حـتى أذان الفجر؛ فتتقذنى الصلاة والوقوف بين يدى الله عز وجل من الأفكار الشيطانية سبحانك يا رب ... ! زوجى على خلق ويصلى و ... لكن مـاذا أفـعل أنا، حـتى الكلمـة الحلوة لا أسـمعـها ... يجـهل الأشيـاء الجميلة ...

ويعود زوجى من إحدى إجازاته القليلة وكعادته ينام فى غرفة نومنا وحيدًا بحجة أننى لا أتحمل سماع شخيره أثناء النوم، وكأنه يقـول لى بركة يا جـامع ويتركنى أنام فى غـرفـة ابنى .. كيف ذلك وابنى. كبر وله خصوصياته واستقلاله ... لا بد أن أنام معك فى غـرفـتنا أردت أم لم تُرَد ... تظاهرت بالجلوس أمـام المرآة حـتى أقلقه وأوقظه، ومع هذا أعلنت موسيقاه العسكرية أنه نام .. أحاول إيقاظه بالأساليب المعروفة ...

- سيبينى من فضلك أنا عاوز أنام اطفى النور لو سمحتى ...
- أنا مش طافية النور ...
- بقولك لو سمحتى ...

■ هو أنا موحشتكش ...؟

■ وحشتينى ... بس مش وقته ... الصباح رباح .

■ أنت وحشتنى قوى ...

■ بعدين ... بعدين ... أنا واخد أجازة أسبوع .

■ بقولّك أنا محتاجة حقى أرجوك حسِّسنى برجولتك ...

■ قولتلك الصباح رباح ... سيبينى دلوقتى ...

■ الصباح أيه يا راجل هو أنت خليت فيها صباح ولا مِسَا ...!

■ أيه الكلام ده ... ؟

■ أنا أرفت من عيشتك دى ...

■ يعنى أنت عاوزه أيه دلوقتى ...؟

■ طلقنى ...

■ حاضر هطلقك ... بس الصبح إن عشنا ...

■ لا ، دلوقتى ...

■ أنت مجنونة إحنا فى نص الليل ...

■ هو أنت خلِّيت فيَّه عقل ... حرام عليك اللى بتعمله فيَّه ده...

■ أنا عملت أيه ...؟

■ برضه عملت أيه ... هو أنت مش حاسس بتعمل أيه ...؟

■ كل مطالبك ومطالب ابنك موجودة وأزيد كمان ...

■ كل حاجة زى أيه ...؟

■ عيشة تتمناها أى واحدة، يا شيخة احمدى ربنا واهدى ...

■ عيشة أيه ومستوى أيه ما أنا كنت عايشه فى مستوى أحسن منه بس أنا راضية وبأقل من كده بكثير وحمدة ربنا من زمان ...

■ أُمَّال أيه هيَّه المشكلة ...؟

■ المشكلة فيك أنت ...

■ فىَّ أنا ... عاوزانى أعملِّك أيه ...؟

■ تعملِّى أيه ... حاجات كتيرة قوى ...

■ زى أيه ...؟

■ حاجات متتقلش ... تتحس ...

■ أنا مش فاهم ...

■ مع احترامى ليك هو أنت فاهم حاجة خالص !

■ لو سمحتى متغلطيش ...

■ أغلط أيه يا حضرة الضابط ... أبسط الحقوق الزوجية أنت ناسيها .

■ إذا كان ياستى دى ... ياللا أنا مستعد برغم أننى تعبان ...

■ أنا مبكلّمش على دى بالذات دى مكملة لأشياء أخرى حتى دى أنت لا تجيدها ... أنت تفعلها تأدية واجب لا تحبها فتبدع فيها لم تتعلم أصولها وفنونها ...

■ وأيه تانى يا أستاذه ...

■ حتى الكلمة الحلوة مبتقدرش تقولها ... الصمت هو السائد فى جلستنا وأى نقاش ينتهى بزعله مفتعله ...

■ كلام أيه بس أنا طبيعى كده مبعرفش أكلّم كلام فاضى ...

■ أنت بتسمى الكلام ده كلام فاضى ...

■ أيوه الكلام ده مش هيجيب فايده وكلام الأولاد الصغيّرين وشباب الجامعة، أقصد حب المراهقة ...

■ قولّى، هو أنت عشت أى حب فى حياتك ...؟

■ أيوه حب أمى ...

■ الله يرحمها معرفتش تربيك أنا آسفة أنا قصدى ...

■ وليه الغلط ده ...!

■ أنا بقول الله يرحمها معرفتش تعلمك أنواع الحب ...

■ أنتى عاوزه أيه بالضبط ... خلصينى عاوز أنام ...

■ مقدرش أقولّك ... أنا ياما قلتلك ...

■ يا ستى أنا طول عمرى من المدرسة للبيت ودخلت الكلية العسكرية وعمرى ما عرفت بنت ولا اكلّمت مع بنت ولا ليّه أخت ...

■ مصدقاك .. مكنتش بتتفرج على التليفزيون ...؟

■ كنت بتفرّج قليل ...

■ مشفتش أفلام رومانسية أجنبية أو عربية ...؟

■ قصدك أيه ... ! ممنوع أتفرج على المشاهد الخارجة دى ...

■ مفيش فايدة معاك ... كمّل نومك ...

■ وأنت روحى نامى مع ابنك ...

■ أنام مع ابنى ... وأنت ...

■ والله لو عاوزه تنامى جنبى مفيش مانع بس بطّلى كلام ...

■ نام ... نام ... أنا زهقت منك ... أنت لوح ثلج ...

وخرجتُ وأغلقتُ عليه باب الغرفة بنرفزة أحدثت صوتًا مزعجًا أيقظت ابنى ...

عشر سنوات عجاف مرت على وجودى فى هذا السجن اللعين وسجانه أبله لا يدرك ما يدور حوله. إن مهمته التعذيب من أجل

التعذيب، مهمة كُلِّف بها ويؤديها على أكمل وجه لا يعرف فى حياته غير الجدية المفتعلة المقززة ... !

أصبحت أقضى معظم الأيام عند أمى وأتحجج بعدة أسباب، نقضى الليالى نتحدث فى أى شىء إلا ما أعانيه مع زوجى العزيز ، يذهب إلى أهله برغم عدم وجود أمه وأبيه بحجج واهية ليهرب منى ... لماذا ...؟! معك الحلول كلها يا زوجى ... أرجوك أطلق حريتى وعشْ كما تريد، كفى ما قضيته معك من عقوبة شاقة قد تودى بحياتى ...

وتمضى الأيام ويكبر ابننا وأُرقَّى فى عملى لأنشغل أكثر ويأتى إلى مكان عملى رئيس جديد رجل وَقُور ... انجذبت إليه بمجرد أول جلسة عمل معه فى صحبة باقى الموظفين ... أحسَّ بما أعانيه دون أن أحكى له ... وأخرج من جعبته كل ما يعانيه فى أسرته من زوجة وأولاد. إنه الحب المفقود، لقد تلاقى الحبيبان بعد سنوات البحث عنه، المحبوب تخطَّى الخمسين ... لا شأن للعقل بأى مقياس فيه ... !

لقد وجدت ضالَّتى مع من رجل يكبُرنى بسنوات عديدة أكثر من خمس عشرة سنة ... فالحب ليس تناسبًا أو تلاؤمًا بين اثنين من حيث المواصفات الشكلية وحَسَب؛ ولكنه أيضًا تعارف بين الأرواح !! ... والأرواح ليست لها أعمار للمقارنة وليست لها مراكز اجتماعية، إنما تتعارف فتأتلف ...

أصبح يتقرب إلىَّ أكثر وأكثر وأنا سعيدة بهذا لما أجده من كلام معسول وتعبيرات رنانة افتقدتها فى زوجى ولم أجدها ولم أسمعها من أحد الزملاء من قبل .. أصبحت أتفنن فى أناقتى وأفرج عن ملابسى حبيسة الدواليب لعدة سنوات، بل أشترى أحدث الموديلات وأحرص على المظهر المتكامل من تناسق الألوان بين ملبس وحذاء وشنطة ... لأسمع وأستمتع بكلمات الثناء والإعجاب والحب والحنان ... !

وكما يُقال "الزَّنُّ على الودان أخطر من السحر". تعلقت بهذا الرجل .. أصبح ذهابى إلى العمل هو راحتى النفسية ... وتمنيت أن تكون الأربع والعشرون ساعة نهارًا وكرهت الليل الذى سيجمعنى مع زوج بارد وحياة مملة أتحملها من أجل ابنى فقط لا غير والذى أتعجل كبره لأحكى له ما عانيته من عذاب مع أبيه ...

أيدرك ابنى ما أعانيه ..؟ وهل سيغفر لى زلَّتى، أم سيكون مثل أبيه ويتهمنى اتهامات باطلة ...؟

وتمر الأيام مسرعة لسعادتى بالقرب من هذا الرجل الذى غيَّر حياتى وأصبغ عليها الحب الذى فقدته سنوات عمرى الماضية ...أحببته وأحبنى بعد تقارب دام أكثر من سنة لم نَبُحْ خلالها بهذه المشاعر؛ لكننا عشناها قبل أن نبوح بها لبعضنا البعض .. لماذا هو بالذات ... لا أعرف ...!

أحببت الدنيا من أجله لا أريد منه أكثر من رؤيته والجلوس معه وسماع الكلمة الحلوة التى حُرمْتُ من سماعها .. أريد أن يصغى لى عندما أتحدث له فى أى موضوع، يحترم مشاعرى ... أحاسيسى ... !

أصبح ملاذى ... والصدر الحنون الذى ألجأ إليه وزوجى كما هو يثور لأتفه الأسباب، وزادت حِدَّة نقاشى معه ورواسب تجاهلى له؛ حتى وصلت إلى الضرب فى أكثر الأحيان ...

أترك له البيت ثم أعود بعد فترة من أجل ابنى واستمر هذا الحال أكثر من عشر سنوات ... وكان القرار الأخير بعد دراسته مع حبيبى أنه لا بد من ترك زوجى .. لقد كبر ابنى ودخل الجامعة وهو الآن على أبواب التخرج، إنه يحتاج أباه أكثر منى الآن ... لا بد أن أتحرر من هذا القيد الحديدى ... لقد أديت مهمتى على أكمل وجه ... لا بد أن أعيش ... لا بد أن أترك زوجى العنيد ذا القلب القاسى المجرد من المشاعر والأحاسيس وأتزوج هذا الرجل ذا المشاعر الفياضة ...

كيف ذلك وهو يقترب من الستين والإحالة إلى المعاش وأنا فى بداية الأربعينيات ..؟ هل يترك أسرته ويتزوجنى ...؟ جنون! واعترفت لزوجى بحبى لإنسان آخر وكفى ما عانيته معه ، وتوسلت إليه أن يطلقنى بهدوء دون أن يجرح مشاعرى .. وأمام إصرارى طلقنى بعد أن شوه صورتى أمام ابنى، مدعيًا أننى كنت أخونه

وتجرأت على طلب الطلاق لأتزوج عشيقى ... عشيقى وهو لا يعلم من هو عشيقى ... !

وتركت شقة الزوجية وسط ذهول كل من حولنا بما يحدث وانتقلت إلى إحدى شققى التى أمتلكها .. شقة جميلة مجهزة تمنيت أن أجد فيها الحب المفقود ...

وزادت لقاءاتى مع زوجى المنتظَر ... لكن نبرات صوته بدأت تتغير، وأخذ يؤجل زواجنا أسبوعًا وراء أسبوع بحجج لم أسمعها من قبل... إننى أريدك أنت شخصك ولن أبخس حق زوجتك أُمِّ أولادك ولا أولادك، سأكتفى برؤيتك وقتما تشاء أنت وتسمح ظروفك حتى ولو يومًا واحدًا فى الأسبوع ... أرجوك لا تماطلنى ... أرجوك لا تجعل صورتك تهتز ولو لشىء بسيط إننى أحبك ... أحبك ... أحبك ... لقد طال الانتظار ولم أعد أراه خاصة بعد إحالته إلى المعاش وصعوبة الاتصال به، خوفًا من أن ترد علىَّ زوجته أو أحد أولاده والموبايل مغلق ... ماذا حدث ... يتصل بى بصوت منخفض يغلِّفه البكاء ...

- أنا آسف أرجوكى انسى اللى كان بينا ...
- آسف على أيه ... وانسى أيه ... أيه اللى حصل ...؟
- محصلش حاجة أنت لسه صغيره وحلوه وهتلاقى ...
- متكملش أرجوك ...

■ ظروف خارجه عن إرادتى ...

■ ظروف أيه دى ... ما أنا عارفه ظروفك وراضيه من الأول...

■ أرجوكى متظلمنيش ...

■ أظلمك ... ده أنت خـربت بيـتى ... سِـبتْ جـوزى وابنى عشانك أنت، أنت فاهم ...

■ حاولى ترجعى لهم تانى ...

■ أنت بتقول أيه ... كلكم صنف واحد ... منِّك لله !

■ بكره تقدِّرى ظروفى ...

■ أنا متشكره قوى على تحطيم حياتى يا دونچوان عصرك ..

وتنتهى المكالمة وأنا فى حالة يُرثَى لها ... انقطعتُ عن الذهاب للعمل وانقلبت حياتى إلى جحيم ...

لم يقف بجـانبى فى هذه المحنة سـوى أمى التى احـتضنتنى بحنان الأمـومة وحاولت إخراجى من حـالة الاكتئاب النفسى التى سـيطرت علىَّ وامـتناعى عن الطعـام حـتى أشـرفت على الموت ، وأُصبْتُ ببعض الأمراض العصرية الناتجة عن الأمراض النفسية...

وعدت لممارسـة حياتى الوظيفية، وفى أحد الأيام سـمعت من زمـيلة أن فـلانًا - وهى تعلم أنه كـان يعـزنى- يعـانى من مـرض السـرطان فى مـراحله الأخيـرة والزمـلاء قـاموا بزيارته والاطمئنان عليه ...

وقبل أن أنسى أو أتناسى ... تعود ذكرياته الحلوة معى ... وأعود إلى شقتى وأنا فى حالة سيئة ... أبكى بكاءً شديدًا ماذا أفعل ... أأذهب لرؤيته أم أحدثه فى التليفون ...؟

يا حبيبى ... لم تُردِّ أن تحمِّلنى معاناة مرضك ... سألت عليه ... قالوا إنه فى غيبوبة فى غرفة العناية المركَّزة بالمستشفى. ودون اكتراث بمن يكون هناك بجواره ذهبت لرؤيته، واخترت وقتًا غير وقت الزيارة ... وشاهدته ويشاء العلىُّ القدير أن يُفيق للحظات معدودة ... يسمع صوتى المغلف بالبكاء ... ينطق اسمى ويرفع يده ليلوِّح لى للمرة الأخيرة ... وأتركه رويدًا رويدًا وهو ينظر إلىَّ نظرة الوداع بعد لقاء التصافى ، وأعود إلى بيتى لأعلم من المستشفى بعد تركه بعدة ساعات أنه قابل "رب كريم". لقد ضاع الحب ... وضاع معه رحيق الحب ... !!

ويضيع كل شىء حولى ... زوجى ... ابنى ... حبيبى ... الرجل الوحيد فى هذه الدنيا الذى أحببته لسنوات طويلة دون أن أتزوجه... إننى أخطأت فى عدم زواجى منه خلال السنوات الجميلة الماضية ... ربما ... أم أخطأت فى اتخاذ قرار الانفصال عن زوجى وابنى ... !

وأعيش وحيدة فى شقتى التى أصبحت كالقبر المزين بكل ما هو جميل ... وجلست أبكى وأبكى ... هل أستطيع أن أنساه ... !

ويعود ابنى ليعيش معى ... أسعد بعودته وأعرف هدف رجوعه، إنه يريد أن يخطب ويتزوج ويريد إحدى شقتى وهذا حقه... لكن أنا ... هل سيعوضنى الله ... !

إننى الآن فى منتصف الأربعينيات وما زلت جميلة .. لقد انتابتنى حالة غريبة ... الحنين إلى الموت ...

لقد كرهت الدنيا بما فيها من ملذات دنيوية .. هل سألحق به... هل سأراه بعد الموت ... ربما .. يكاد عقلى يُجنُّ ...

لا ملجأ إلا إليك يا الله ... لا بد أن أستعد للقائك يا الله .. حب البشر ناقص أو مفقود أو مبتور ... وفانٍ ... أما حبك يا الله فحبٌّ كامل لا يُوصَف ...

أصبحت الصلاة والوقوف بين يدَى الله هى سعادتى، وقراءة القرآن هى متعتى، وحضورى دروس الفقه هو سبب خروجى من المنزل فى غير أوقات العمل ... وذهابى للحج أو العمرة هى سعادتى فى هذه الدنيا ... وأعيد شريط الذكريات فى هذه الدنيا الفانية ... أجد فيها الضياع والألم والمعاناة ... والحقد ... والكُرْه... أما حبك يا الله فشىءٌ أخر ... صفاء الروح ... اطمئنان للنفس ... هل أنا أخطأت من البداية ...؟ لكن من السبب ...؟

ربما أسرتـــى ... ربما أنا ... لكنه المكتوب ... أطلب منك المغفرة يا الله ... وأعلن توبتى ورضائى طواعية بما كتبته لى فى الحياة المقبلة إن كان فى العمر بقية ...

**الخامسة صباح يوم الجمعة ٢٠٠٦/٢/٥**

# الحقـــــونـــى !

داومتُ على قراءة القرآن كل يوم جزء أو أكثر منذ وفاة والدى ووالدتى ترحُّمًا وتصدُّقًا عليهما، ولتطبيق قول رسولنا محمد ﷺ : «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم يُنتفَع به أو ولد صالح يدعو له» ...

وكما ربانى والداى - رحمهما الله - أحسن تربية أجاهد فى تربية أبنائى كذلك؛ ليكون لى ولد صالح يدعو لى بعد وفاتى. وفى أثناء زياراتى المتكررة لأخواتى البنات وأقربائى لصلة الرحم خاصة عند أختى مريم أسمع دائمًا شجارًا وصوتًا مرتفعًا ينبعث من الشقة المجاورة لها وأسألها : ما هذا ؟ فتقول لى : إن هذه الشقة يسكنها رجل وامرأة مُسنَّان ولهما ولد فى سن الشباب أصغر أبنائهم دائم الشجار معهم والأبناء الكبار هاجروا إلى أمريكا منذ عدة سنوات دون رجعة ! ... فحمدت الله على كَوْن أسرتى ما زالت بخير ...

■ تعرفى يا مريم يعنى أيه أسرة ...؟

■ لا يا خوى ...

■ أسـرة فى اللغـة يعنى أسـر، أى احـتـفظ بشىء، يعنى رب الأسـرة هو المسـئـول عن أسـر الأولاد والزوجـة والحـفـاظ عليهم ...

■ يعنى يحبسهم ويضيِّع مستقبلهم ...!

■ أنا مقلتش كده ...

■ طول مـا الأولاد شـاطرين وجـالهم فـرصـة للسـفـر للخـارج محدش يقف أُدَّام مستقبلهم ...

■ آه يسـافـروا ويرجـعـوا تانى مش هـجـرة برة وكـأن الواحـد مَخلِّفش ...

■ أهو الواحد بين نارين : الغُرْبة والمستقبل، وإما اللمَّة والأسرة وضياع المستقبل ...

■ مين اللى قال كده ...؟

■ أنت شايف فيه حاجة كويسة هنا خالص من تعليم وصحة عيشه كلها تغم ...؟!

■ استغـفرى ربنا مصـر والحمد لله بخـير وابنك فى حضنك نجح هيـلاقى حواليه الفرحـانين، تعب هيـلاقى جنبـه إللى يداويه، حصلُه مشكلة هيـلاقى جنبه الأهل والأصدقاء. بره

يا أختى برغم كل الإغراءات المحسوسة هناك لكن العيشة جافة من المشاعر، كل واحد فى الغربة بيقول نَفْسى نَفْسى والحياة عمرها ما كانت كده ...

- معاك حق يا خوى ... أستغفر الله العظيم من كل ذنب بلدنا أحسن مكان فى الدنيا ودفء الأسرة هنا متلقهوش فى أى مكان فى الدنيا.
- وعاجبك جاركم ده ... ولاده هاجروا بره وسابوه ...
- سابوه فى الوقت اللى هو عاوزهم فيه ..
- أنت فاكره يا مريم الحكاية اللى أبوكى كان بيحكيها لنا زمان وإحنا أطفال ...؟
- مش فاكرة يا خوى حكاية أيه ...؟
- حكاية الرجل الفقير وكانت زوجته مريضة فأحضر تفاحة، فأخذت الزوجة التفاحة وأعطتها لبنتها، فأخذتها البنت وأعطتها لأخيها الأصغر منها، فأخذها الابن وأعطاها لوالده لأنه هو الذى يشقى ويتعب ... أنا قصدى من الحكاية دى أن كان فيه الإيثار، كانت الأسرة زمان مترابطة الكل يخاف على الآخر والابن يحترم أباه ويخافه والأب يعطى التقاليد والقيم .
- معاك حق يا خوى الزمن إتقلّ براكته ...

■ مش الزمن السبب إحنا والتدليل الزايد والتربية السيئة، علاوة على مناهج التعليم والإعلام الموجه ضد أولادنا ...

■ اتفضل يا خوى الأكل جهز ... الكلام خدنا.

■ اتفضلى ...

وفور انتهائنا من تناول وجبة الغداء مع أختى وأولادها سمعنا صوت استغاثة وخبط ورقع ... إلحقونى ... إلحقونى ... ابنى هيموِّتنى ... يا ناس حوشوه عنى ...

وجرينا ناحية باب شقة هذا الجار لنرى ما يحدث ... الباب مغلق ولا مجيب لفتح باب الشقة برغم استغاثة صاحبها، لا جرس مُجْدٍ ولا تخبيط على الباب ... لا بد من كسره لكن كيف؟ وبعد عدة دقائق فُتح الباب فوجدت امرأة عجوزًا بجوار الباب وطلبت منا سرعة الدخول لإنقاذ زوجها ... دخلت غرفة النوم لأجد رجلاً عجوزًا جلبابه ممزق ومُلْقًى على أرضية الحجرة، وابنه يرتدى الشورت والفانلة وفى يده عصاة مثل خرزانة سيدنا بتاع الكُتَّاب زمان ... دخل الابن غرفته وهو يتفوَّه بألفاظ بذيئة عن والده، وغيَّر الأب جلبابه الممزق وجاء يجلس معنا فى غرفة الصالون، تركتهم واتجهت إلى غرفة الابن وفتحت عليه باب غرفته ...

■ سلام عليكم ...

■ وعليكم السلام ...

■ أنا يا بنى شقيق جارتكم الحاجَّة مريم ...

■ أهلاً يا عمى ...

■ أيه يا بنى اللى حصل ...؟

■ غصب عنى يا عمى هو اللى بيخرجنى عن شعورى ...

■ أنت طالب ولا خلَّصت ...؟

■ آخر سنة فى معهد السينما وهغور وهسيبله البلد كلها ...

■ هتروح فين يا بنى ...؟

■ هحصَّل إخواتى وأكمل دراسة فى أمريكا وهشتغل هناك ...

■ وأبوك وأمك يا بنى ...!

■ يروحوا يموتوا بقا مَخلَّصُوا مهمتهم فى الدنيا دى ..

■ أيه يا بنى مهمتهم دى ...؟

■ ربونا وعلمونا وكبرنا خلاص ...

■ ودا شكرك ليهم ... تضرب أبوك وتشتمه وتتمنى له الموت ...؟!

■ أعمل أيه مش عاوز يدينى الفلوس اللى أنا عاوزها ...

■ يمكن يا بنى معهوش ...

■ معهوش ده على قلبه فلوس أد كده مش عارف عاينها لمين إخواتى كلهم فى أمريكا ومش جايين تانى مفيش إلا أنا ...

■ يا بنى توصل للضرب ... يا بنى أنت بتصلّى

■ لا مبصلّيش ...

■ حافظ بعض آيات القرآن ...؟

■ شوية ...

■ ألاَّ سمعت قول الله تعالى : ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانًا إما يبلغنَّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أُفٍّ ﴾ صدق الله العظيم ...

■ سمعتها وخذناها فى المدرسة زمان ...

■ طيب مبطبقهاش ليه ...؟

■ محدش عاوز يفهمنى أنا عاوز أعيش حياتى مش عاوز حد يحوّشلى عيّشنى النهارده وموّتنى بكره ...

■ يا بنى لو فى شىء من العقوق أدنى من كلمة أف لنهى الله عن ذلك، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة ...

■ يا عمى أبوى السبب مفيش تفاهم خالص أى نقاش بينا لازم ينتهى بخناقة وشتيمة ...

■ وَلَدَك كان شغال أيه قبل المعاش ...؟

■ كان وكيل وزارة ...

■ يا بنى أرجوك بر والديك ... حرام عليك ...

■ أمى ولا بتهش ولا بتنش ملهاش دعوة بينا ...

■ أيه يا بنى الكلام ده الرسول عليه الصلاة والسلام وصى على أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك ثم الأقرب فالأقرب ... وأيه الكلام ده بتهش وبتنش ... أيه يا بنى الألفاظ دى ...؟!

■ يا عمى أنا كويس مش وحش قوى كده بس أبوى السبب ..

■ يا بنى أنا ليّه صديق والده عايش ووصل من العمر أرذله وهذا الصديق لواء شرطة ربنا يحفظه ... هذا الصديق بجوار أبيه يكاد الأربع والعشرين ساعة وبرغم ذلك ناجح فى عمله وبيته ...

■ إزاى دى يا عمو ... مش ممكن ... !

■ فى الصباح يدخله الحمام ليقضى حاجته وإذا حدث منه شىء فى الليل يرفع بوله أو غائطه دون تأذى بأنفه ولا يعبس بوجهه، ثم يقوم بإفطاره ويتركه مع جليسه أحضرها له خصيصًا لخدمته، ثم يتجه لعمله ويعود قبل أن يأكل والده ويطمئن عليه ... وهكذا ...

■ وأبوه ساكن فين ...

■ الشقة قَصَد الشقة ... المهم يا بنى أنا بحكيلك الكلام ده عشان ترجع لعقلك وتتدم على أفعالك تجاه أبوك ...

■ أنا آسف يا عمى ...

■ الأسف مش ليَّه يا حبيبى تعالى إتأسف لبوك وبوس راسه...

■ اتفضل يا عمى ...

وخرجنا من غرفة هذا الولد العاق واتجهنا إلى غرفة الصالون حيث يوجد أبوه وأمه وأختى وزوجها وأولادهما، فيتجه ناحية أبيه وينحنى ليقبِّل رأسه ويقبل يديه ويطلب منه السماح والمغفرة ...

■ بس أنت يا حاج فتحى ريح ابنك، والمثل بيقول إن كبر ابنك خاويه اعتبره أخوك، وأنت يا حسن، ملكش بركه إلا أبوك وأمك ...

■ خلاص يا عمى ...

■ ولازم تصلى وتتقرب من ربنا عشان ربنا يحفظك من الوقوع فى هذه الأخطاء المميتة.

■ خلاص يا عمى وإحنا متشكرين على تعبكم.

■ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

شكرت الله على حُسْن تربيتنا ويرحمكما الله يا أبى ويا أمى، وزادكم الله يا أولادى من فضله وكرمه وحُسْن طاعته ...

**بعد صلاة الجمعة ٢٠٠٦/٦/١٦**

# الـــزمـــــن الجميـــل

"الولد لسّه صغير" قالتها زوجتى عندما سمعتنى أقول لابنى : اسبقنى إلى المصنع وأنا جاى وراك ... ابننا هذا فى نهاية المرحلة الثانوية وأحاول أن أعده لتحمل المسئولية. ذكّرتنى نفس العبارة عندما قالتها أمى لأبى منذ ما يقرب من نصف قرن من الزمان عندما قال لى : اسحب الجاموسة واسبقنى على الغيط وأنا هحصّلك بباقى البهايم وأنا لم أتعد السنوات الخمس، ونفذت كلام أبى فى خوف واعتراض صامت من أمى، وذهبت بمفردى وكانت البداية .. كنا صبية يُعتمد عليهم فى كل شىء ...

كل من فى المنزل يصحو عند أذان الفجر : الأولاد مع أبيهم يذهبون إلى المسجد، والبنات وأمى وجدتى يؤدين الصلاة فى المنزل وعند عودتنا نجد الفطور جاهزًا ومتنوعًا برغم بساطته : الجبن القريش والعسل بأنواعه والبيض المسلوق، ومن يرغب فى شرب كوب اللبن الحليب بقرقوشتين فليفعل، ثم نذهب مع والدى للحقل لمدة ساعة ثم نعود لنستعد للذهاب للمدرسة. وبعد العودة وتناول

وجبة الغداء نذهب لوالدى لنطمئن عليه ونعلن عن استعدادنا لمساعدته إذا لزم الأمر، وإلا نعود إلى المنزل للمذاكرة ... عيشة بسيطة يجمعها الحب والعبادة سواء بالعمل وإتقانه والمواظبة على أداء الفروض الخمسة فى الصلاة والصدق والأمانة والتعاون على البر والتقوى. الزوجة أو الابنة تذهب إلى الحقل محملة بالعيش البلدى الفلاحى وقطع من الجبن القريش أو الجبن القديم المغموس بالمش المشبع بالفلفل وقشر البرتقال واللارنج ، كل ذلك داخل المشنَّة المغطاة بقطعة من القماش القديم النظيفة. ثم تعود إلى منزلها إذا لم تجد لها عملاً فى الحقل بعد استئذان زوجها أو أبيها، لتحلب البهائم وتخض اللبن وتنظف للبهائم وتصنع الجبن القريش على أكثر من حصيرة مخصصة لذلك بعد غسلها جيدًا وتعليقها على الحائط ، وتعجن وتخبز إذا احتاج البيت إلى ذلك ، فالقمح والذرة موجودان فى إحدى غرف البيت تُسمى "غرفة الخزين" بها خزين السنة بالكامل من ذرة وقمح وأرز ودقيق مطحون، وبرطمانات مملوءة بالسمن البلدى والمورتة (وهى نتاج تسييح الزبدة بعد أخذ السمن منها)، وعلب السمن الفارغة مملوءة بالبيض النيئ، وسَبَت رقاق وسبت مملوء بالشعرية الفلاحى المُصنَّعة بيد الخالة مريم المشهورة فى البلدة بذلك وتملُّكها قادوس الشعرية. وهو عبارة عن ماكينة خشبية وعدة قطع من الحديد، بداخلها قادوس يوضع به العجين ليخرج شعرية من أسفله تتلقفه

الخالة مريم بحرفية وتضعه فى عدة صوان نأخذها نحن الصبية ونذهب إلى سطح المنزل لننشرها على الملايةً المفروشة فى أشعة الشمس لمدة أيام لتتشف، ثم تقوم والدتى بتحميصها فى الفرن الفلاحى بعد الخبيز ، وتضعها فى أوانٍ أو فى السَّبَت لنأخذ منها فى أيام الشتاء القارص البرودة لنأكل شعرية باللبن، لتعطينا طاقة هائلة أثناء المذاكرة .

ولا أنسى طعم العيش الفلاحى المضاف إلى دقيقه الحلبة الحَصَى المطحونة ليعطى نكهة فى الطعم وفائدة صحية عظيمة، ولا العيش الرحَّالى ولا العيش الشمسى ولا ...

ثم تقوم الزوجة بإعداد وجبة الغداء خضار وطماطم من الفيط والطهى على الكانون ، وهو عبارة عن عدة قوالب من الطوب اللَّبِن على الطرفين يوضع عليها الحلة الكبيرة بداخلها الخضار والطماطم ويُوقَد بأسفلها - أى وسط القوالب - نار ناتجة عن الحطب الموقد تحتها. وهذا الطبيخ بدون لحمة التى لم نكن نذوقها إلا كل أسبوع يوم الجمعة ، وكنا نسمى هذا الطبيخ "طبيخ أورديحى" ثم تحمله الأم أو الابنة إلى الفيط ، وهناك يُقطع الجرجير والفجل والبصل الأخضر والطماطم وتُغسل من مياه الترعة أو التورنبة، وكنا ممن يدقون تورنبة عندهم فى الفيط، لتكتمل الوجبة الغذائية بدون لحوم ... وكنا نأكل البط والإوز فى المواسم تجمعنا طبلية واحدة ...

منظومة جميلة يكسوها الحب والاحترام المتبادل والمبادئ والقيم ... تمكث الزوجة والابنة بالغيط تحت إحدى الشجيرات المنتشرة بالغيط ، وكنا نحن قد حبانا الله بشجرة الجميز نسميها شجرة الجميزة ، كنا نجتمع تحتها ونأكل وننام فى ظلها والهواء من ظلها ولا أحسن تكييف ... نعم تكييف ربَّانى والمخدة عبارة عن قماش يحشوه قش الرز بعد درسه، ثم تقوم الزوجة بعمل الشاى على الولعة ، وهى تشبه الكانون فى المنزل لحين انتهاء الزوج والأبناء من تناول وجبة الغداء، وفى أكثر الأحيان يكلفها الزوج بالعمل فى الحقل أو متابعة عمل داخل الحقل ... وقبل غروب الشمس تعود الزوجة من الحقل محملة بخيرات الله ... لا تعب ولا كلل تعد نفسها لاستقبال زوجها من نظافة بيتها وجسدها وثوبها ...

ويعود الزوج بالقرب من صلاة العشاء يكمل أكلته بالقليل من الطعام، ثم يخرج لصلاة العشاء بالمسجد وزيارة بعض الأهل والجيران للمشاركة الاجتماعية فى بعض المناسبات، ويعود لينام مبكرًا ليبدأ عمل اليوم التالى بصلاة الفجر .

حياة طبيعية يسودها الحب المجرد من المصلحة الدنيوية، وقلوب صافية لا حقد ولا كُرْه ولا ضغينة فى النفوس. وكنت أنا وإخوتى الصبيان نقطن الدور الثانى من المنزل ، وهو عبارة عن حجرتين وبينهما حديد، وهو عبارة عن مكان فسيح مسقوف بالخشب. كنا نذاكر من خلال الطبليتين الموجودتين فوق هذا

الحديد، وكان كل واحد منا يمتلك كنبة خشبية يتخذها سريرًا عند النوم وأثناء النهار حجرة صالون لاستقبال أصدقائنا ...

أما أخواتى البنات فكن ينمن فى الغرفة المواجهة لغرفة أمى وأبى فى الدور الأول ، وكانت لكل واحدة منهن سجلة وهى تشبه الكنبة مفروشة بالسجاد الصوف عليه مرتبة خفيفة من القطن لينمن عليها بالليل وليجلسن عليها قبل النوم .

وما أكثر الأيام القمرية الصيفية التى كنت أحلم فيها أحلامًا يصعب تحقيقها، وأنا مُسْتَلق على الكنبة الخشبية أنظر إلى وجه القمر المكتمل ويدغدغ وجهى نسمات منعشة قادمة من الحقول تنسج قصصًا رومانسية وعيشة قاهرية بما تحمله من معانٍ لذيذة ...!

تذكرت هذا وذاك عندما أكملت تعليمى أنا وإخوتى وتخرجنا فى أحسن الكليات وعملنا فى أماكن مهمة ...

وأصبحت أنا مهندسًا صاحب مصنع يعمل عندى مئات من الناس ، وهذا نتاج التربية الحسنة وتشبُّعى بتعاليم دينى وفهمى التقاليد والمبادئ ... وتحمُّل المسئولية منذ الصغر ...

أنظر إلى جيل أبنائى وما يتوافر لهم من سبل العيش الرغد وأساليب العلم الحديث وما تبعه من أجهزة كمبيوتر وأساليب اتصال وتعلُّم اللغات الأجنبية بطرق أسهل ، ومع هذا لا يقوى على تحمل المسئولية كلما قسوت عليهم بشىء بسيط وقفت أمامى

والدتهم بشىء من التدليل المرئ الذى يضر ولا ينفع. نَسِيَتْ أو تناست الزوجة دورها الأساسى فى البيت وانشغلت بأشياء دخيلة على مجتمعاتنا ... ! فقد البيت احترامه، فلا احترام متبادل ولا عطف وحنان ولا أُبوَّة ولا بُنوَّة ولا أمومة .. ضاعت التقاليد والمبادئ وحل مكانها التحضر الزائف والمدنية البراقة بما تحمله من صراعات وضغوط نفسية أدت إلى أن فقدت النفس تماسكها، فتفككت وتعثرت وأصبحت ضائعة تائهة تافهة تتقاذفها الرياح فى كل اتجاه بلا هدف؛ فكثرت الأمراض النفسية والبدنية والمجتمعية بصورة وبائية ...

والسبب واضح كضوء الشمس .. لقد أُصيب إنسان هذا العصر بخلل أفقده القدرة على الحب، حب خالقه وهو أعظم أنواع الحب، وحبه لنفسه ليكيِّفها لحب الآخرين ... فتعود النفس لانسجامها مع الحياة بعد أن كانت رافضة لها ... ! ماذا حدث لمجتمعاتنا ... لا أعرف ... !

أهذا هو ... وهذه هى ... !

أتحدى أن أجد إنسانًا سعيدًا بهذه الصورة ... السعادة الحقيقية هى القرب من الله والانسجام النفسى .. ماذا حدث لزماننا ... والعيب فينا ... !

لقد هرولت الأيام واشتعل الشعر شيبًا ... وضاعت أيام الزمن الجميل ...

٢٠٠٦/١٠/٢٥

# الكوبانية

لم أعش طفولتى كباقى الأطفال أقرانى من الجيران والأقرباء برغم ما بذلته أمى من أجل تربيتى أنا وأختى الأصغر منى، فقد تُوفِّى والدى مبكرًا وتركنى أنا وأختى وأمى الشابة نصارع الحياة بمعاش ضئيل لا يُغْنى ولا يُسْمن من جوع ، ومع هذا لم تمد أمى يدها لطلب المساعدة من أحد إلا من الله عالم الأسرار. رفضت أمى الزواج مرة أخرى وتفرغت لتربيتنا. بحثت عن القرش الحلال فقررت إعطاء دروس القرآن واللغة العربية لصفوف المرحلة الابتدائية العامة والأزهرية، فأمى خريجة الأزهر ولم تجد عملاً وتزوجت. ولما مات زوجها وحرصًا منها على إعطائنا الدروس الخصوصية فى كل المواد، أحضرت أصدقائى وأقربائى لأخذ الدروس معنا بمقابل زهيد. ومرت الأيام ونحمد الله على ما نحن فيه .

وفى الإجازة الصيفية كنت أعمل أعمالاً مختلفة: فى المعمار أحيانًا، ومع الميكانيكية فترة أخرى وأدخر مبلغًا لا بأس به

يساعدنى ويساعد أمى أثناء الدراسة. ومرت الأيام والشهور والسنون ثقيلة لم أذق خلالها طعم السعادة فى أية لحظة ...

ووفقنى الله عز وجل ودخلت كلية التجارة، كنت أعمل وأنا طالب فى الكلية بضع ساعات فى اليوم، كنت من الكلية إلى البيت ثم إلى العمل. لم أعرف شلة الأصدقاء المعتادة فى الجامعة ، ولم أشترك فى أى نشاط من أنشطة الأسر بالكلية ، لم أعرف فى يوم من الأيام حب المراهقة ولم أعطِ نفسى فرصة لتذوُّقه؛ إننى فى مهمة صعبة : النجاح فى الكلية والحصول على المؤهل العالى لأعمل عملاً محترمًا شريفًا يدرُّ دخلاً لى ولأسرتى ...

كانت بعض الفتيات بالكلية يحاولن التقرب لى بأى أسلوب من الأساليب طمعًا فى الفوز بحبى أو مسايرتهن لما وجَدْنَ فىَّ من جمال الشكل والهندام والروح لكن لا يعلمن ظروفى الاجتماعية؛ لدرجة أن زملائى الأولاد كانوا يطلقون علىَّ الشيخ حسن ... وكنت لا أبالى بما يدور من حولى ...

ويأتى يوم تخرُّجى فى الجامعة، يوم مشهود. لقد بكت أمى من شدة الفرح وفرحت أختى طالبة الآداب، ودَعَتا لى بأن يوفقنى الله فى إيجاد فرصة عمل تليق بشهادتى ...

ظروفى تختلف عن أى شاب مثلى يجد من ينفق عليه فيقف فى طابور الخريجين ينتظر الوظيفة دون قلق، ولست من أصحاب

الواسطة، لا أعرف أحدًا ولا يوجد معى ما أعطيه لأحد من أصحاب السطوة ليجدوا لى العمل المناسب. استمر عملى نصف اليومى إلى عامل أساسى بالكوبانية عامل بمحطة البنزين ليس هذا عيبًا ولكن أكل العيش راضيًا بقضاء الله ، وأبحث عن فرصة أفضل فى الوقت القليل المتبقى من اليوم ...

تتخرج أختى فى الكلية ويأتى إليها أكثر من عريس من أهل بلدتنا لما تتميز به أختى من جمال وخلق وسمعة حسنة، ولما تتصف به أمى من سمعة حسنة بين أهل البلدة ...

توافق أختى وأمى على أحد الشباب المتقدمين لخطبة أختى ويتم تجهيزها بأحسن جهاز ، لم أبخل على أختى بأى شىء كل ما ادخرته من مال كان مع أمى استحلفتها ألا تبخل على أختى من أجلى ... لا بد أن نظهر أمام أهل عريس أختى بمظهر لائق، والشىء الأهم هو سعادة أختى ...

وبعد زواج أختى قررت الانتقال من الكوبانية ببلدتنا إلى محطة بنزين بمصر الجديدة تعطى مرتبًا أكبر ولها وقت محدد نظام "ورادى"، وتعطينى فرصة للبحث عن وظيفة أخرى بالقاهرة...

وفى إحدى المرات وقفت سيارة فاخرة ضمن السيارات التى أراها طوال الوردية وبداخلها شاب وشابة. لم يسترع انتباهى مَن

بداخلها، إننى أركز فى عملى ولا أحب التطفل بالنظر داخل أية سيارة. وانشغلت بدفع البنزين من الماكينة إلى السيارة، حتى سمعت صوتًا من داخل السيارة ... الشيخ حسن مش معقول! تسمرت قدماى فى الأرض وسرح ذهنى وطَفَا البنزين من خزان الوقود حتى أفقت وأغلقت الماكينة ...

- أيه يا شيخ حسن ...
- أهلا يا باشا ...
- أيه يا حسن باشا أيه يا راجل إحنا زملا ما انتش فاكرنى..؟
- أيوه فاكرك الأستاذ حاتم ...
- برضه هيقول أستاذ ... يا بنى يا حبيبى أنا حاتم وبس ...
- إزيك يا حاتم ...
- إزيك أنت يا شيخ حسن وأيه اللى مشغَّلك كده عامل ...؟
- أعمل أيه بس يا حاتم مش لاقى شغل ...
- مش هينفع الكلام دلوقتى، خد الكارت بتاعى أهو وكلمنى فى التليفون أو تعالى لى الشركة، معاك العنوان. بَاىْ ...

يتركنى حاتم ومن معه داخل السيارة وفى يدى اليمنى الفلوس وفى يدى اليسرى الكارت ...

أقرأ الكارت : حاتم فهمى نائب رئيس مجلس إدارة شركة فهمى للاستيراد والتصدير، ثم أنظر إلى النقود التى فى يدى فأجدها زيادة عن المعتاد قوى ... لقد أعطانى حاتم زميل الدراسة بالكلية مائة جنيه زيادة يا هل ترى أعطاها لى بقشيشًا أم إكرامية أم أعطاها لى زكاة ...؟ هل يقصد شيئًا ...؟ وكيف أقبلها ..؟ وبأية صورة أحللها لنفسى ...؟! لا بد أن أعيدها لحاتم ...

وفى اليوم التالى ذهبت إلى حاتم فى عنوان الشركة وحمدت الله على النعم التى أنعم الله بها على حاتم ... سكرتارية أيه ومكتب فخم أيه وعمالة لا تُعد بسهولة ... استقبلنى استقبالاً يبشر بالخير ...

- أهلاً يا حسن ولاً تحب أقولّك يا شيخ حسن.
- أى حاجة يا أستاذ حاتم.
- مقولتلك بلاش أستاذ.
- ما يصحش يا أستاذ حاتم.
- خلاص هقول أنا يا أستاذ حسن .
- العفو يا بيه بعد إذنك المبلغ ده حضرتك غلطت وأنت بتحاسب.
- غلطت أيه يا حسن أن أنا أقصد ... ودى حاجة بسيطة .

■ دى حاجة كبيرة قوى وأنا مش ممكن أقبلها.

■ يا عم حسن إحنا زملا دراسة ومفيش فرق وأنا آسف على الأسلوب .

■ لا والله أنا مش قصدى لكن الأهم من كده يا أستاذ حاتم...

■ أنت تؤمر يا حسن ...

■ عاوز أشتغل شغله بالتخصص بتاعى ....

■ أنا عنيَّه ليك يا حسن أنت كنت متفوقًا فى الكلية ...

■ أشتغل محاسبًا ... أو أى شغله بالمؤهِّل ...

■ اعتبر نفسك اشتغلت .

■ تشتغل معايا ولاَّ مش عاوز تشتغل معايا ...

■ يا نهار أبيض يا فندم هو أنا أَطُول ده حلم ربنا يكرمك .

■ خلاص سيبك من شغلك فى المحطة وتيجى بكره تستلم الشغل ...

■ أجهز ورقى لحضرتك ...

■ هكتبلك ورقة بالحاجات التى تجهزها ... خد يا سيدى.

■ أنا متشكر قوى يا أستاذ حاتم ... د الوالده هيه اللى هتدعيلك .

■ سلم لى عليها قوى وأنا فى انتظارك يا حسن.

لقد استجاب الله لدعوات أمى وسوف يتغير نظام حياتى، سوف أُفعِّل شهادتى المبروزة على حائط غرفة الصالون ...

وعدت إلى بلدتى ولأول مرة أشعر بالسعادة وارتياح البال، لقد فرحت أمى وأختى وزوجها بما حدث لى ..

وتسلَّمت العمل مع حاتم بمكتبه لفترة وجيزة، ثم أشار على بالعمل مع والده فى الشركة الأم بالعاشر من رمضان ولقربها من بلدتنا؛ حتى أعود إلى أمى يوميًّا دون كلل ولا تعب ...

ولم تمضِ عدة سنوات قليلة حتى رُقِّيت إلى رئيس قسم المحاسبة، ثم مدير إدارة المصنع للشئون المالية والإدارية ...

أثناء عملى بالشركة كانت تتردد فتاة جميلة على الشركة عرفت بعد ذلك أنها شقيقة حاتم ، كنت أختلس بعض النظرات على استحياء حتى عرَّفنى إليها والدها السيد رئيس مجلس الإدارة وعرفها إلىَّ وأثنى علىَّ بكلمات استحسنتها ابنته ...

فأكثرت من حضورها إلى الشركة من يوم فى الأسبوع إلى عدة أيام ، وأصبح معظم وقتها فى الشركة بصحبتى إما فى مكتبى أو بالتجول داخل الشركة، ثم اصطحابى داخل سيارتها فى العودة أو لقضاء عمل ما داخل القاهرة ...

لقد أحببت مروة بقدر ما أحبتنى لكن كيف أجرؤ على خطبتها؛ إنها فى سن أختى وإنها فوق قوى وأنا من أنا عامل بمحطة بنزين سابقًا إنه شرف حقًا ونعم ذلك ... لكنَّ أخاها حاتم قد شاهدنى وأعطانى البقشيش والصورة هذه ما زالت عالقة فى ذهنى، وأعود وأقول فى نفسى إن حاتم شاب ذو خلق كريم من أصل عريق ووالده رفيع الخلق مهذب المعاملة أعطى لبنته حرية غير مطلقة ... أيحق لى !

هل أنا اعتديت على من جعله الله سببًا فى النعمة التى أعيشها أنا وأمى : بيت مميز بطرازه فى بلدتنا وسيارة لم أحلم بها، ولم تخطر على بالى أن أركبها وليس بتملُّكها، ومبلغ من المال أدخره فى البنوك وفوز أم حسن بحجة مميزة ...

لقد زادت أناقتى بتغييرى أكثر من بدلة بقميص وكرافتة وحذاء يليقان على لون هذه البدلة ...

كفاك يا نفسى غرورًا أنسيت الماضى أم تناسيته ... ؟

تقول لى : أنت شاب ذو قامة ممشوقة ووجه جميل يعلوه شعر يداعبه الهواء كالبنت، وأصبحت الآن فى زُمَرَة المستوردين ...

أقول لها إننى تعديت الحدود، هناك من هو أحسن منى ويضاهى أهل مروة ... لا بد أن أنسحب من حياة مروة بكل هدوء وأبحث عن شريكة حياتى من أهل قريتى تختارها أمى وأختى ...

لكن ما ذنب مروة ؟ ما الذنب الذى ارتكبته ؟ ذنبها أنها بنت ... ! وأنا ابن ... ذنبها أنها أحبتنى بقلبها دون عقلها ... لكنها ... قالتها بصراحة لى : إننى أحبك بقلبى وعقلى ...

قلت لها : أسرتك، أبوكِ، أمك ... أقرباؤك ... أصدقاؤك ... الوسط العائلى مستوى المعيشة ...

قالت : لا تَقْسُ علىَّ بكلماتك المؤلمة إنى أحبك ...

قلت لها : إنى أحبك ... أحبك ولأول مرة أحب لكن ... !

لا تقل شيئًا ... اترك الأمر لى ...

أترك الأمر لله هل سيكتب لنا ...

أسأل الله التوفيق ...

٢٠٠٥/٢/١٠

# المُدَّخِر الأعظم

صالة السفر مزدحمة بالركاب المغادرين ، منهم من يقف أمام موظف شركة مصر للطيران لينهى إجراءات الوزن ومنهم من يملأ كارت الجوازات ، مقاعد صالة السفر المخصصة للمغادرين ممتلئة وطوابير الجوازات طويلة .. زحام غير عادى ...

وجدته يحاول أن يجلس بجوارى على أحد المقاعد الخمسة المخصصة لموظفى الجمارك لمراقبة العمل فى صالة السفر والتى أشغل إحداها والأماكن الأربعة خالية ... رجل وَقُور تعدى الخمسين ربيعًا بقليل يرتدى بدلة سوداء اللون ويحمل حقيبة يدوية فى يده...

- بعد إذن حضرتك ممكن أقعد ... ؟
- اتفضل حضرتك ... بس هذا المكان مخصص لموظفى الجمرك ...
- أنا عارف ... بس حضرتك شايف الصالة مزدحمة جدًا ...

■ اتفضل يا فندم أنا مقلتش حاجة ...

■ مجرد أن أَمْلَى كارت الجوازات وأقوم علطول .

■ برحتك يا فندم نحن هنا لخدمة الركاب ...

■ أنا متشكر جدًا ...

■ تشرب حضرتك حاجة ...

■ شكرًا ... عشان معطَّلش حضرتك عن الشغل ...

■ مفيش عَطَلة ولا حاجة ... أهو العامل جايب شاى أهو ... وجايب واحد زيادة لأن الزميل راح صالة الوصول لمساعدة زملائه هناك ...

■ مفيش مانع أشرب شاى ...

■ حضرتك مسافر فين إن شاء الله ...؟

■ مسافر السعودية ... الرياض إن شاء الله ...

■ لسه بدرى على إقلاع الطيارة ...

■ أصل أنا بحب آجى بدرى ديما ...

■ أحسن حاجة حضرتك بتعملها ... الالتزام حلو .

■ أنا ملتزم فى تصرفاتى ... تعاملاتى ... مناحى الحياة كلها ...

■ متعرفتش بحضرتك ...

■ أنا الدكتور فتحى محمد أو المستشار فتحى مستشار وزير ...

■ أهلا بحضرتك دكتوراه فى أيه ...؟

■ فى القانون مش دكتوراه واحدة اتنين دكتوراه فى القانون ...

■ ما شاء الله ربنا يزيدك ...

■ وحضرتك خريج أيه ...

■ ليسانس حقوق بتقدير جيد جداً ...

■ ومكملتش دراساتك العليا ليه ماچستير ثم دكتوراه ...؟

■ الموضوع طويل ... مش عاوز أدوشك ...

■ اتفضل احكى ...

■ أنا من صغرى نفسى أدخل كلية الحقوق عشان أبقى دكتور فى الجامعة أحب الدراسة قوى ... خاصة دراسة القانون والتعمق فيه .

■ أيه اللى حصل ...؟

■ الأربع سنوات تقدير جيد جداً والحمد لله ...

■ كويس براڤو عليك ...!

■ قالوا مش عاوزين معيدين بالكلية قدمت أوراقى فى النيابة العامة، قالوا الواسطة والمحسوبية قدمت فى مجلس الدولة ... !

■ ده كله ماله ومال دراستك مكملتش ليه ...؟

■ إزاى يا دكتور، أنا حسيت بإحباط قلت هاخد الدكتوراه وأخرتها أيه.

■ أخرتها هتبقى دكتور فى الجامعة ...

■ لازم واسطة يا دكتور، المهم طلبت الجمارك موظفين حقوق وتجارة واقتصاد وعلوم سياسية قسم اقتصاد بتقدير عام جيد وخدوا بالمجموع وقبلت بدون واسطة ...

■ كويس أنك اتعينت بمصلحة الجمارك وظيفة محترمة مكملتش ليه دراستك ...؟

■ وهكمل ليه أنا حاسس مفيش فايدة من تكملة دراستى ...

■ أنت محبط قوى أنت لسه صغير وأُدَّامك العمر ...

■ عمر أيه يا دكتور الحياة صعبة والمشاكل كتير وفيه حاجات والتزامات وأولويات أولها تعيش عيشه محترمة ...

■ برضه كل ده ما يمنعش أنك ترجع للدراسة وتكمل ...

■ صعب يا دكتور أنا مش مقتنع ومعنديش أمل .

■ اسمع يا بنى، تسمحلى أنى أقولك كده وأنا فى سن أبوك..؟

■ اتفضل يا دكتور ...

■ أنت لسه متخرج من الجامعة سنك لا يزيد عن ٢٥ سنة ...

■ ٢٤ سنة ...

■ كويس قوى ليه يا بنى هذا الإحباط والاكتئاب المسيطر عليك ...؟

■ الواسطة والمحسوبية وعدم تكافؤ الفرص ...

■ لا يا بنى اسمع حكايتى باختصار ...

■ اتفضل يا دكتور ...

■ أول ما تخرجت من كلية الحقوق اتعينت فى النيابة العامة وتنقلت من مدينة لأخرى من شمال البلد إلى جنوبها وكنت وكيل نيابة ناجح جدًا .

■ وأيه اللى حصل يا دكتور ...؟

■ تعرف حضرتك مذبحة القضاء أيام زمان ...؟

■ طبعًا قريت عنها ...

■ أنا من ضمن الناس ... !

■ ياه صعب قوى ...!

■ شوف أنت فى الهيلمان ده والبيه والباشا وفجأة تترك هذا ويودوك القوى العاملة موظف بالأرشيف ...

■ وحضرتك عملت أيه ...؟

■ هعمل أيه لازم أرضى عشان أقدر أعيش عندى زوجة وولد وبنت هيتربوا إزاى ... لكن القعدة بدون شغل عمل شاق فكرت قلت أعمل أيه ... قلت لازم أذاكر ... التحقت بالدراسات العليا بكلية الحقوق أخذت أربع دبلومات ... يعنى اثنين ماچستير ... كل ده عشان أقتل الوقت وبعد كده سجلت الدكتوراه وربنا وفقنى وحصلت عليها ...

■ حصلت على ده كله وحضرتك ما زلت فى القوى العاملة ...

■ نعم، وأنت عارف أيام الاشتراكية والبعثات التعليمية التى كانت بتبعتها مصر للاتحاد السوفيتى والدول الشيوعية ...

■ نعم الكتلة الشرقية ...

■ سافرت إلى روسيا لأخذ دكتوراه فى قانون العمل وسافرت وأخذت الدكتوراه الثانية ...

■ وحصل أيه بعد كده ...؟

■ فوجئت بعد ذلك بإعلان من السعودية يطلب مستشارين فى قانون العمل ويفضل المستشارين الحاصلين على الدكتوراه

للمساهمة فى وضع تشريع مقنن للعاملين هناك ... قدمت أوراقى ...

- طبعًا حضرتك فيك كل المواصفات المطلوبة .
- طبعًا مستشار ومعى اتنين دكتوراه وحده منهم فى التخصص المطلوب علاوة على العشر سنوات فى وزارة القوى العاملة ... من أجل هذا يا بنى تعاقدت معهم بضعف المبلغ الذى تعاقد عليه زملائى وكلاء النيابة الذين استمروا فى عملهم ووصلوا إلى مستشارين بمحاكم الاستئناف والنقض ... وسافرت وعادت علاقتى مع زملائى القدامى فى العمل القديم لممارسة عمل جديد وأنا مميز عنهم ...
- سبحان الله شىء جميل قوى ...!
- الأكثر من ذلك أثناء عملى هناك طلبوا منى إنشاء قسم فى جامعة الرياض بهذا الخصوص وكُلفت بإعداد كوادر من الطلبة السعوديين وأعطونى حرية الاختيار للتعاقد مع من أشاء من المستشارين المصريين ...
- طبعًا حضرتك اخترت أصدقاءك وزملاءك من رجال القضاء الأكفاء.
- نعم، وكنت سعيدًا بصحبتهم وبأفكارهم وكنا ما زلنا خير سفراء لبلدنا الحبيبة مصر وأنا سعيد وبشكر ربنا على كل

الخير اللى أنا فيه، يمكن لو أنا فضلت فى مكانى مكنتش هشوف كل ده .

■ ولا كنت هتشوفنى وتتحدث معاى ...

■ قصدت يا بنى من كل هذا أن الحياة كلها صعوبات وكلها أشواك ومش ممهده ... لازم إحنا نفرض نفسنا ونحقق ذاتنا ...

■ بس حضرتك حالة خاصة ربنا وفقك يمكن بصبرك وإصرارك على النجاح مين فينا يصبر دلوقتى ...

■ يا بنى لازم الصبر والمثابرة مش فى يوم وليلة هتبقى حاجة ... وعاوزك تفهم الحكمة التى أومن بها وأطبقها فى حياتى ...

■ حكمة أيه يا دكتور ... !

■ نحن لا نستطيع أن نوجه الريح ولكننا نستطيع أن نقود الشراع ...

■ فعلاً حكمة رائعة ...

■ الحمد لله أنا نجحت فى قيادة الشراع ووصلت إلى شط الأمان رغم الأمواج العاتية ... وعاوزك تطبق الحكمة دى يا بنى ...

■ مش عارف يا دكتور كلام حضرتك إدَّانى شحنة قوية لتكملة دراستى العليا ...

■ أيوه يا بنى ذاكر وخد الماچستير والدكتوراه واقرا كثيرًا وثقف نفسك وسيب الباقى على ربنا ...

■ ونعم بالله يا دكتور ...

■ أظن دلوقتى ممكن أقوم أنهى إجراءات الجواز، أنا شايف الطابور الطويل قارب على الانتهاء ولم يبق سوى نصف ساعة على إقلاع الطائرة ...

■ اتفضل يا دكتور فرصة سعيدة وربنا يوفق حضرتك ...

■ أنا سعيد بس لازم توعدنى ... !

■ أوعدك يا دكتور ...

■ يمكن نتقابل ويمكن لأ ... ربنا يوفقك ...

■ مع ألف سلامة يا دكتور مع ألف سلامة يا سيادة المستشار ...

وتركنى ولم أتركه بنظرى حتى لوَّح لى بيده من وراء كشك الجوازات الزجاجى ، ولم أتركه بقلبى ونبضاته المتتالية. وجلست مع نفسى أحدثها وأتعجب من معية الله - سبحانه وتعالى - سبحانك يا الله ادخرت الخير لهذا المستشار ولم يعلم ولو علم

لرضى؛ لكنه عانى الكثير والكثير نفسيًا وماديًا وأدبيًا ، وكافح وسلم أمره لله ولم ييأس ولم يُحبَط وهو من هو ... وأنا من أنا ... !

يُخرجنى سماعى لأذان الفجر يجلجل فى صالة السفر : الله أكبر الله أكبر فوق كل شىء ولا شىء دونه ...

أنهيت عملى بالوردية المسائية ووصلت لمنزلى منهك البنيان من سهر الليالى ولم أستطع النوم ... كلام هذا الرجل مسيطر على تفكيرى ... ماذا أفعل ؟ أخذت أوراقى وتوجهت إلى كلية الحقوق أدفع بورقى لأعلن استعدادى للمواجهة مع النفس لا بد أن أثبت ذاتى ووجودى، لا بد أن أثبت للمجتمع الذى رفضنى فى عمل ما... أننى أجدر بهذا العمل. لقد أنهيت الأربعة والعشرين ربيعًا بإذنك يا الله سأحصل على الدكتوراه قبل سن الثلاثين؛ إننى الآن أملك إرادة حديدية، إرادة فولاذية ... سأحطم كل القيود الحديدية التى كُبِّلت بها منذ تخرُّجى ... سأجلى نفسى من الاكتئاب الذى احتواها وكاد أن يحطمها ...

أستغفرك يا الله يا عظيم يا قادر على كل شىء وأثق فى كرمك الفياض، وأعلم جيدًا يا الله أنك المدخر الأعظم ...

٢٠٠٦/٤/٢٥

# المديـــــر العـــام

تخرجت أنا ومحمود فى كلية التجارة وقضينا عدة شهور معًا نعمل فى أحد الأعمال الخاصة حتى حان موعد أداء الخدمة العسكرية ، وتشاء الظروف أن نكون فى سلاح واحد ونعيش أحداث العدوان الإسرائيلى على مصر ١٩٦٧ ونمكث فى القوات المسلحة معًا حتى النصر فى أكتوبر ١٩٧٣، ونخرج من الجيش لنجد الوظيفة الحكومية محجوزة فى انتظارنا ...

نذهب معًا إلى وزارة المالية ثم يتم توزيعنا إلى مصلحة الجمارك لنعمل معًا فى مطار القاهرة الدولى ... لأول مرة نفترق بعضنا عن بعض، يذهب محمود بإحدى الورديات وأنا فى وردية أخرى ... عشقنا العمل فى تفتيش الركاب لطبيعته المتجددة وأنه غير روتينى وغير مُمِلّ ...

أتعرف إلى إحدى الفتيات القاهريات تسكن بجوار عمتى ويتم الزواج منها ...

يخطب محمود أخت زوجتى لنظل على قرب ويتم الزواج، ويسكن فى نفس العمارة التى أسكن بها ...

وتمر الأيام والشهور والسنون ونجاحنا مستمر فى العمل والحياة الاجتماعية لكن لكل منا تطلعات وطموح فى الحياة ، كنت أنا أسعى لإيجاد فرصة عمل فى الخارج لأحسّن وضعى المادى وأنا ما زلت فى مرحلة الشباب على عكس محمود لم يكن يخطر على باله موضوع السفر إلى الخارج ، وكلما فاتحته فى هذا الموضوع قال لى : رزق هنا رزق هناك ...

وجاءت فرصة سفرى إلى السعودية وحمدت الله على ذلك ، وسافرت بمفردى وأوصيت محمود أن يعتنى بالسؤال على زوجتى وتلبية حاجاتها هو وزوجته أختها ...

وبعد فترة تكاد تقترب من العام جاءتنى زوجتى لتعيش معى فى الغربة ويرزقنى الله بالولد والبنت وأسعد بهما ... ويزيد الله من رزقى سنة بعد الأخرى فأشترى قطعة أرض كبيرة فى إحدى المدن الجديدة ، وأقيم عليها فيلا ولا فيلل البهوات بتوع زمان قصر، ويتم فرشه بأعظم المفروشات وأفخم الموبيليات. يطلب منى محمود الاكتفاء بالسنوات العشر وأن أعود إلى مصر مرة أخرى ولعملى ليأنس بى، أرفض حتى ينهى أولادى دراستهم الأوّلية وأعود بهم إلى جامعتهم المصرية معهم ما يكفيهم ويكفينى لآخر العمر ...

وأخبار محمود الاجتماعية والوظيفية معى باستمرار من خلال التليفونات، سواء معه أو مع زوجتى أو حماى وحماتى ...

محمود برع وظيفيًا فى عمله، فقد حقق أرقامًا قياسية فى عمليات الضبط الجمركى بالمطار ، أنواع مختلفة من المضبوطات منها المخدرات بأنواعها من حشيش وأفيون وهيروين، ومنها الذهب والفضة ومنها بعض المفرقعات ليستخدمها الإرهابيون داخل مصر ... وآخر ما سمعته وقرأته فى الجرائد المصرية اليومية هو ضبط محمود لرجل إرهابى قادم إلى مصر وبتفتيشه ذاتيًا أخرج من بين طيَّات ملابسه خريطة تفصيلية لبعض الأماكن وبعض أسماء الشخصيات المهمة فى البلد، وبصحبة هذا الراكب مسجل ثقيل الوزن اتضح أن بداخله متفجرات قام رجال المفرقعات بالمطار بإبطال مفعولها، وتم القبض على هذا الرجل الإرهابى وتمت مكافأة محمود من وزير الداخلية على هذا المجهود الوطنى ...

ولم تمضِ عدة أيام أخرى إلا ويضبط محمود رجلاً أجنبيًا يرتدى صدارًا محشوًا بداخله سبائك ذهبية، ورجلاً آخر يضبطه محمود بمخدرات مخبأة داخل علب معجون الأسنان وعلب الشامبو ، ومرة أخرى مخدرات داخل رغيف العيش ومحاضر تهريب النقد الأجنبى والمصرى كثيرة ربنا يحميك يا محمود ... محمود سعيد بما يحققه من إنجازات فى عمله ترضى نفسه، لكن

مع الأسف الشديد مكافآت تلك المحاضر قليلة أو تكاد تكون معدومة...

ما زال محمود يقطن فى شقته التى تزوج فيها، ولقد ضاقت الشقة لكثرة أولاده والدخل قليل ...

ما زال محمود يتنقل بالمواصلات العادية ... لم يستطع محمود شراء أرخص سيارة تغنيه عن ركوب الأتوبيس ...

أعود إلى مصر بعد قضاء عشرين عامًا خارج مصر قضيتها فى أعمال أحبها عادت بالخير الوفير .. أنشأت شركة خاصة بى وقررت عدم العودة إلى العمل الوظيفى لما حققته من إشباع مادى ، لكن محمود أشار على بالعودة إلى العمل لأتمم البرستيج الاجتماعى ولم يتبق إلا سنوات قليلة تُعد على أصابع اليد الواحدة ومنتصف الأخرى ...

وعدت إلى العمل وأنا بداخلى رافض ذلك ، لأن الحال تغير كثيرًا والوجوه التى أعرفها تغيرت وسفرى إلى الخارج فترة طويلة أخرنى فى الترقية عن زملائى ... شىء طبيعى أن يُرقَّى محمود لمدير عام جمرك تفتيش الركاب بمطار القاهرة الدولى ويأخذنى مديرًا لمكتبه أو أيَّة وظيفة لأكون بجانبه ... ولأرحمه من استخدام التاكسيات بالركوب معى بسيارتى الخاصة المرسيدس ... لقد سعد محمود بهذه الترقية التى انتظرها طويلاً ...

ولم يمض قليل على ترقية محمود إلا وظهر عليه أعراض مرض الالتهاب الكبدى؛ إنه آثار البلهارسيا. ويزداد عليه المرض بشكل واضح للجميع، وأرافقه فى الذهاب إلى عيادات الدكاترة والمستشفيات على أمل الشفاء ...

ويصر محمود على الذهاب إلى العمل؛ إنه يعشق العمل ويقول: أموت وأنا جالس على مكتبى أو أقع أموت وأنا واقف داخل صالة الركاب وأنا أمارس عملى وسط أولادى مأمورى الجمرك ...

وفى إحدى المرات كنت جالسًا معه فى مكتبه المفتوح بابه دائمًا لمتابعة العمل والرد على أية شكوى أو استفسار من أحد الركاب ... قال لى : بص يا أحمد، أنت شايف عم سيد العامل شوف شايل شنطة راكب عاوزه أربع رجالة يشيلوها، قلت له : ما شاء الله عم سيد أكبر منا بكثير لكن صحته كويسه قوى ما شاء الله ... قال لى محمود بصوت يملؤه الحزن والأسى : أنت عارف يا أحمد، لو عرضوا علىَّ أن عمى سيد يكون مكانى المدير العام بحالى ده وأنا أكون عم سيد العامل بصحته دى أوافق، وأبصم بالعشرة أننى مش عاوز منصب ولا عاوز فلوس ولا عاوز حاجة من الدنيا دى سوى الصحة ...

فقلت له : بكره تبقى كويس وترجعلك تانى صحتك، قال : اللى بيروح مبيرجعش تانى أبدًا أنا نهايتى قربت خد بالك من الأولاد

يا حاج أحمد ... يا ليتنى سمعت كلامك زمان وسافرت للخارج كنت عملتلهم شوية فلوس يستندوا عليها ... يا عم محمود ربنا يخليك ليهم وأنا تحت أمرهم وتحت أمرك كفاية تاريخك المشرف فى الجمارك ... تاريخ أيه يا عم أحمد كله بيتنسى كله محصَّل بعضه ... كل واحد فى الدنيا دى لا يهمه إلا مصلحته فقط ... والشغل عاوزك سليم قوى مصحصح لكن دلوقتى يعملوا بيَّه أيه ...

ولم تمضِ عدة أيام على هذا اللقاء بينى وبين محمود إلا وترك الدنيا وترك لأولاده الستر وتاريخًا حافلاً بالإنجازات، جمعته زوجته من خلال قُصَاصات الجرائد المتهالكة خلال السنوات المنصرمة، منذ أن كان مأمور جمرك صغيرًا فرئيس قسم فمدير إدارة حتى المدير العام ...

ولم أتحمل دخول المطار بدون محمود فتركت العمل الحكومى وأصبحت من رجال الأعمال، لأشرك أولاد محمود بعد تخرُّجهم فى الجامعة معى فى شركتى الخاصة ليستريح محمود فى تربته... رحمك الله يا أخى محمود وخير خلف لخير سلف ...

٢٠٠٦/٦/١٥

# المعـــاش

طوال عمرى أحب العمل ورثته عن أبى - رحمة الله عليه - كان يعلمنا أنا وإخوتى أن العمل عبادة ...

فكنا نحب المذاكرة لأن عمل التلميذ والطالب هو المذاكرة والاجتهاد والمثابرة حتى نُتوَّج بالنجاح بتفوق، وفى الإجازة الدراسية نعمل فى مجالات متخصصة تعود علينا بعدة فوائد عظيمة، منها المادى والمعنوى والاجتماعى. وبعد أن تخرجت فى الجامعة، عملت فى الجهاز الحكومى بالدولة ...

تدرجت فى تقلُّد المناصب الوظيفية حتى وصلت إلى الدرجة الأولى الممتازة، كانت تقاريرى السنوية ممتازة. لم أتغيب يومًا واحدًا عن العمل؛ حتى الإجازات الاعتيادية والعارضة لم أحصل عليها ولم أسع يومًا لإذن خاص مهما كانت الظروف ...

حتى وصلت إلى قمة الهرم الوظيفى : وكيل أول وزارة، واستمر بى الحال لما يزيد على عدد أصابع اليد الواحدة. وما أدراك فى زماننا هذا من تهافت الكثير من ذوى المصالح والمنتفعين على

أصحاب المناصب الكبرى لتحقيق أغراضهم ، وكنت ممن وفقهم الله إلى الخير كله عرفت طبيعة عملى فحافظت عليه لا شبهة فى الخدمة التى تُؤدَّى للجميع ، وفتحت مكتبى للصغير قبل الكبير ، للفقير قبل الغنى ، الضعيف قبل القوى ...

دعوت الله عز وجل أن يوفقنى لخدمة كل الناس وأن يجعلنى سببًا فى قضاء مصالح الناس وأن أضع ابتسامة راضية لكل صاحب حاجة قمت بقضائها، وذلك كما علمنى أبى رحمة الله عليه. فكان أبى يقول لى عندما يجدنى أو مجرد أن يستشف من حديثى معه أننى قد مللت كثرة خدمات الناس ... يا بنى كن سعيدًا عندما يطرق بابك صاحب خدمة لقد ساقه الله إليك، واعلم يا بنى هذه المقولة ( من فضل الله عليك حاجة الناس إليك ) . ويقول رسولنا الكريم محمد ﷺ : « إن لله عبادًا اختصهم بقضاء حوائج الناس حببهم فى الخير وحبب الخير إليهم، إنهم لآمنون من عذاب الله يوم القيامة » صدق رسول الله ﷺ. وأن من حبه الله حبه الناس، وأن من تواضع لله حفظه ورفعه ... رحمك الله يا أبى يا عظيم ...

وتمر الأيام الوظيفية بحلوها ومرها بل أكاد أن أقول إن كلها حلو بمحبة الجميع، ولم أفكر أبدًا أننى فى يوم من الأيام سأفارق هذا المكان بما يحمله لى من ذكريات جميلة ومحبة الناس ...

لقد قربت سنى من الستين ... سأُحرم من خدمة الناس، لم أفكر فى المال ولا المنصب أو ممكن المنصب ليمكننى من خدمة الناس ... وسعى لى الكثير فى تجديد سنة بعد سن المعاش ، وجُدِّدت السنة وسعدت بها وسعد الجميع لكن لا بد من نهاية، تمر السنة مسرعة وفشلت محاولات الأحبة فى التجديد مرة أخرى ... وحانت ساعة الصفر كل شىء له بداية ونهاية ... تذكرت الأيام الماضية عندما جئت لأتسلَّم العمل وأنا ما زلت شابًا لم يتعد عمرى الواحد والعشرين ربيعًا، وأنا الآن أجمع متعلقاتى وأوراقى وأشد الرحال وأُخْلى المكان لغيرى وأنا أخطو إلى الواحد والستين ربيعًا .. نعم أنا بصحة جيدة وشباب متجدد لكن لا بد منها لحظات عصيبة... التف حولى جميع الموظفين كبارًا وصغارًا وحمل عمال مكتبى الكراتين المملوءة بالذكريات، واصطحبنى الجميع بمظاهرة حب حتى وصلت لسيارتى الحكومية، وفتح لى سائقى الخاص السيارة وانطلقت وعيناى على المكان حتى تلاشى كل شىء ... بكيت طوال الطريق ولم أتفوه بكلمة حتى وصلت إلى بيتى، نزل السائق وفتح لى الباب للمرة الأخيرة، نزلت من السيارة وقفت أمام باب العمارة وانطلق السائق وما زلت أنا واقفًا ... رجلى تنوء بحمل جسدى المتهالك وتستغيث من حمل هذا الجبل أحركها بصعوبة، سرح ذهنى أُصيب جسدى بضرر ما ... ! يُخْرجنى بواب العمارة... حمدًا لله على السلامة يا بيه ... أصعد إلى شقتى

يستقبلنى الأولاد وزوجتى بالترحاب يجاهدون فى تخفيف ما أصابنى ... أتماشى معهم وأؤكد لهم أنه شىء عادى وطبيعى ... وأنها سُنَّة الحياة لكنها ليست شيئًا عاديًا، أكاد أقترب من الموت ... إننى أصبحت كخيل الحكومة إذا كبر قتلوه ! يأتى الليل ويخاصمنى النوم الذى كنت أستجديه حتى يُؤذَّن لصلاة الفجر أصلى وأنام حتى أصحو إنها الساعة السابعة والنصف ... لقد اقترب قدوم السيارة والسائق فى انتظارى أمام العمارة ... زوجتى : نام يا زوجى العزيز لا سيارة ولا سائق ولا عمل كفاك يا زوجى عمل أربعين عامًا شقا استريح بقا ... كيف أستريح ؟ إننى أستطيع أن أعطى أكثر من شاب فى مقتبل حياته ... ماذا أفعل ! لم أتعود على المكوث فى البيت ولم أهوَ الجلوس على المقاهى ... قمت وأخذت الحمام وفتحت باب البلكونة وأحضرت جميع الجرائد والمجلات وتصفحتها جميعًا خلال نصف ساعة ، وقمت وارتديت بنطلونًا وقميصًا بدون كرافتة ، ونزلت ولم أعرف كيف أذهب وإلى أين سأسير ...

وقفت أمام بائع الجرائد أتصفح بعض جرائد المعارضة وبعض المجلات التى لا تصلنى وأشتريها ...

وواصلت السير فى الشارع ... المحلات ما زالت مغلقة إلا محلات الفول والطعمية ...

لأول مرة أشترى الفطار ... أى حاجة أقوم بها ... ورجعت إلى الشقة ... ودخلت المطبخ لأجهز الفطار : من يفطر معى ... ؟ لا يجيبنى أحد ... لقد ذهبت زوجتى إلى عملها والأولاد منهم من ذهب إلى عمله والباقى إلى الجامعة ...

جلست على ترابيزة السفرة وأمامى الطعام وأمسكت برغيف العيش وقطعت منه لقمة صغيرة وقطعة من الطعمية الساخنة التى تفوح رائحتها لتفتح الشهية المعدمة؛ لكن هيهات أن يُفتح فمى !

الشقة الواسعة بغرفها تكاد تكون سجنًا صغيرًا لى زنزانة مصمتة، نزلت إلى الشارع مرة أخرى أتمشى فى الشوارع الجانبية دون هدف أبتغيه سوى تضييع الوقت، أذهب إلى السوق لكى أحضر أى شىء من هناك أشترى بعض الخضراوات والفاكهة أى عمل نافع أقوم به وأعود مرة أخرى إلى الشقة. ما زلت وحيدًا يا ربى الساعة تمر ببطء شديد على عكس زمان، أذان الظهر يؤذن أدخل المسجد الكائن بجوار عمارتنا أصلى الظهر ثم أصلى عدة ركعات أخرى حتى يطالبنى عامل المسجد بالخروج لأنه سيغلق المسجد ، أخرج وأتجه إلى شقتى أجد زوجتى جاءت مبكرة بعد أن استأذنت لعلمها بحالتى النفسية التى أمر بها ... تشكرنى على إحضار الخضر والفاكهة ثم تحدثنى حديث التعقل ...

■ أيه يا صلاح محدش طلع معاش إلا أنت أيه فيه أيه !

■ لا مفيش حاجة ... الحمد لله ...

■ يا راجل احمد ربنا وصلت لأكبر المناصب وطالع وصحتك حلوة والناس كلها بتحبك وبكيت عشانك ... وما زالوا بيحبوك ...

■ ما هى الناس دول اللى مأثرين فيه ... مكنتش متصور يوم إنى هفارقهم ...

■ غصب عنك وده حال الدنيا كلها ... حتى الدنيا هنفارقها ...

■ أنا عارف الكلام ده كله يا أم إيمان ...

■ أُمَّال أيه يا صلاح الأولاد متأثرين بيك وخايفين عليك ...

■ لا أنا الحمد لله كويس وبعدين يا ستى الوزير كلمنى عاوزنى أشتغل معاه مستشار بعقد ...

■ الحمد لله كويس قوى عشان متقعدش فى البيت .

■ القاعدة فى البيت صعب قوى يا أم إيمان ...

■ طبعًا يا صلاح هو أنت خَتّ فى يوم من الأيام إجازة أنت كنت بتعبد شغلك وتقول العمل عبادة ...

■ أنت عارفة يا أم إيمان أنا راضى والحمد لله على حياتى الوظيفية أديت الأمانة المكلف بها، وإن كان فى العمر بقية هواصل مع الوزير كمستشار ...

■ عقبال لما الوزير يعملّك العقد ناوى تعمل أيه ؟

■ أنا خلاص دلوقتى بدأت أنظم الكتب فى المكتبة وبدأت أقرا وأمارس هوايتى وأتثقف وأحفظ القرآن الكريم وأصلى ونروح نعمل عمرة وحج ... نستعد للآخرة بقا ...

■ ربنا يديك الصحة يا صلاح ويوفقك ويديك طولة العمر ...

■ وربنا ميحرمنيش منك يا أم إيمان ...

■ هدخل أجهز الأكل زمان الأولاد جايين ...

■ مش عاوزه أساعدك فى حاجة ...

■ لا ما أنا وخده على كده ...

ويأتى الأولاد ونتناول وجبة الغداء لأول مرة معًا، وتمر الأيام وأبدأ أكيِّف نفسى مع الظروف الجديدة، معلنًا انتصارى على الطاعون القاتل أو ما يُسمى المعاش .

فجر يوم ٢٠٠٥/١٠/١٨

# أنـــا والنمـلـــة

جلست بجوار أحد جحور النمل المنتشرة فى أركان غرفة المعيشة أراقب بتعجب حركة النمل ذهابًا وإيابًا من وإلى الجُحْر، محملة بأشياء متناهية الصِّغَر من سكر وغيره ... حركة منتظمة ومستمرة دون توقف لا اختناقات مرورية ولا حوادث ... جماعات متناسقة منسجمة .. أذكر قول الله تعالى فى سورة الأنعام بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾ صدق الله العظيم ... تمنيت فى هذه اللحظة أن يهبنى الله النعمة التى أنعم بها على سيدنا سليمان عليه السلام وهى معرفة لغة الطير ...

أريد أن أتحدث معكم أيها النمل ... أعرف حياتكم نتعلم منكم أشياء كثيرة تفعلونها ونجهلها نحن بنى البشر ! ... لكن كيف ... هذا مستحيل ... لكن ... !

■ ماذا تريد أن تعرف أيها الإنسان ...

■ سبحان الله ... أهذا حقٌّ ... تتكلمين أيتها النملة ... أم أنا ... !

■ نعم أيها الإنسان ...

■ مَن الذى أنطقك بلغة البشر !

■ الله الذى لا إله إلا هو الرحمن الرحيم خالق كل شىء .

■ سبحانه قادر على كل شىء إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ..

■ نحن خَلْق من مخلوقات الله عز وجل ونحن أمم أمثالكم لها نظامها وحياتها وتخطيطها ومعيشتها ولغتها ...

■ وماذا تفعلون الآن ...

■ كما ترى نعمل فالعمل عبادة ...؟

■ أتعرفون عبادة الله عز وجل !

■ نعم يا إنسان كل خلق الله يسبِّحونه كلٌّ بلغته نحن نسبحه ليلاً ونهارًا لا نعرف الكسل ... الكل يعمل والرزق بيد الله عز وجل ...

■ كيف يُدار عملكم وكيف تعيشون ... وكيف وكيف ... !؟

■ أنت طماع أيها الإنسان الذى أكرمك الله وفضَّلك على كثير من خلقه وسخر لك أشياء كثيرة ... ممكن أقولّك ...

■ أريد كلمات مختصرة ...

■ يكفى أن تعرف أن لنا طرق اتصال ولغة للتفاهم لا يفهمها غيرنا وتسابيح لا يعلمها إلا الله ...

■ ربنا عز وجل ذكركم فى القرآن الكريم ...

■ نحن نعلم ذلك جيدًا، وتُوجد سورة عظيمة فى القرآن الكريم باسمى وذكر الحوار الذى دار بينى وبين سيدنا سليمان عليه السلام ...

■ هذا شىء عظيم وشرف كبير أن تُذكروا فى القرآن الكريم...

■ نعم أيها الإنسان نحن جند من جنود الله ...

■ أنتم ... أأنتِ أيتها النملة الضعيفة التى لا حول لكِ ولا قوة...!

■ من الذى قال هذا ...؟

■ أنا بقول ذلك ... أنا ممكن أمسك عددًا من النمل وأقتله بيدى بكل سهولة ... أو أستخدم أى مبيد يقتل الآلاف بل ملايين من النمل ...

■ لا والله كله بأمر الله ... ولكل أجل كتاب وكله بيد الله وليس بيدك أنت أيها الإنسان المغرور ... الضعيف ...

■ أنا ضعيف أيتها النملة ...؟

■ نعم أنت أضعف مما تتصور ! ... نعم ... لا تستغرب ... ولا يسرح ذهنك وترهقه ...

■ حقيقى كيف تقولين ذلك ومن أين لك بهذا ... حدثينى من فضلك ...!

■ أقص عليك قصة بسيطة توضح لك ذلك ...

■ اتفضلى ...

■ فى يوم من الأيام كُلِّفت مجموعة من جنودنا للقيام بمهمة رسمية ...

■ مِن قَبل مَنْ ... !

■ من قبل الله عز وجل نحن لا نأخذ أوامر من أحد إلا الله ...

■ ما طبيعة هذه المهمة ... !

■ مهمة تأديبية وتهذيبية وتحذيرية ...

■ لمن ... !

■ لشخص إنسان أَلْهته الدنيا بملذاتها وإغراءاتها ... شخص غافل عن ذكر الله ومنغمس فى معصية الله ... فأراد الله به خيرًا لعله يتوب ... !

■ وأنتم هتقدروا تعملوا أيه مع الإنسان أيتها النملة ... !

■ ياه على جهل الإنسان وغطرسته وبجاحته ... نقدر نعمل حاجات كتيرة قوى ...

■ زى أيه ... احكيلى مثل ماذا ... !

■ أنت متعجِّل دائمًا أيها الإنسان أنا بحكى الحكاية ... اسمعها للنهاية ...

■ اتفضلى ...

■ وصلت القوة الخاصة المكلفة بتنفيذ المهمة إلى موقع التنفيذ... فى انتظار الأوامر العليا سمعًا وطاعة يا الله ... ما أضعفك يا إنسان ...! آه لو تعرف ما سيحدث لك ... فلان هذا يجلس بصحبة رفاق السوء يستمتع بملذاته ويتعالى عليهم بوفرة صحته وكثرة ماله ونسى أن كله من عند الله ... يعطى ويمنع ... يعز ويذل ... نسى أن يكتنز شبابه قبل هرمه وصحته قبل مرضه ...

■ أكملى أيتها النملة ... أنا مشتاق ... ماذا حدث ... !

■ تتجه أفراد الكوماندوز حسب الخطة الموضوعة والمكلفين بها ... تذهب واحدة إلى الأذن اليمنى والأخرى إلى اليسرى واثنتان لكل عين واحدة واثنتان لفتحتَى الأنف وعشرة من

القوات الخاصة للتعامل مع المكان الحساس الذى أخجل من ذِكره ... قوة ضاربة ومدربة لتنفيذ أوامر الله عز وجل ...

■ أكملى أيتها النملة ماذا حدث ... !

■ تصور حضرتك لو حدث هذا معك ماذا سيحدث لك ...

■ بهذه الصورة الموت أهون من هذا ...

■ لا تُغْضبنى وتُخْطئ فى الحديث معى تخير الألفاظ قبل نطقها ...

■ أنا آسف ... أكملى ...

■ يصرخ فلان هذا بأعلى صوته ويضع يده على عينيه، وينقلها بسرعة عصبية إلى أذنيه ثم أنفه ويلطم على خديه وينتفض ويتخبط، مستغيثًا بمن حوله خالعًا ملابسه باحثًا على القوات الخاصة فى مكان ما دون جدوى ودون مغيث...

■ محدش ساعده من الموجودين معه وبحثوا عنكم ...

■ الكل جرى من حوله وتركوه وحيدًا يذوق العذاب حسبوه فقد عقله ... حسبوه ركبه الجن ... حسبوه ...

■ ماذا فعلت بالله عليك يا أيتها النملة هذه القوة الضاربة بصاحبنا هذا احكى بالتفصيل أنا مستمع ... !

■ أفراد الأذن تحرك قرون الاستشعار بجوار طبلة الأذن فى حركة مدروسة ومحسوبة ومدربين عليها مؤثرة وغير مدمرة تطرق عدة مطارق بجوار الطبلتين فيأتى تأثيرها على رأس المخ مباشرة فيضرب الهدف رأسه فى الحائط من كثرة الألم ... ثم يقوم الأفراد المكلفون بالعين بإفراز مادة معينة تلسع ولا تحرق تؤلم ولا تعمى لا تُحْدِث عاهة مستديمة ... والأفراد المكلفون بالأنف يضربون بقرون الاستشعار فى سقف الأنف بسرعة ثم ببطء بقوة ثم بلطف فيشعره كأنه يغرق فى ماء مالح بل شديد الملوحة ويظل يضرب أنفه دون جدوى ...

■ وماذا فعلت القوات الخاصة بالمكان الحساس ... !

■ فوق مما تتصور أنت وباقى البشر ... عشرة من أقوى جنودنا يستخدمون حواسَّهم الحادة فى لحظات واحدة متناوبة ومتنقلة من مكان إلى مكان ومتنوعة، وصاحبنا يستغيث ويعض على شفتيه من شدة الألم أصبح كالبهلوان بل أشد بلاءً يخبط بكلتا يديه على أجزاء من جسمه ويتلوى على الأرض عاريًا ويستغيث ويلطم الخدود ويصرخ هل من مغيث لا مغيث حتى أُغمى عليه ...

■ مات صاحبنا ... !

■ الموت سهل كده ... صاحبنا تمنى الموت فعلاً ... لكن ليس هذا هدف المهمة ... جاءوا بالأطباء فى جميع التخصصات وعجزوا تمامًا ماذا يفعل الأطباء ... وهذا أمر الله ...

■ أنا مشتاق لسماع باقى القصة ... ماذا حدث أكملى ... !

■ بعد ساعات طويلة من الألم المبرِّح بين الحياة والموت نطقها وقال : يا رب ارحمنى ... ارحمنى يا رب ... تبت تبت يا الله وندمت على ما فعلت ... خذنى يا رب ... أنقذنى يا رب الموت أرحملى من هذا العذاب ...

■ فعلاً الموت أرحم من هذا العذاب ...

■ من الذى أدراك وأدراه ... آه لو تعلمون ما بعد الموت وأنتم تعلمون الكثير فى القرآن والسنَّة المحمدية لكنكم تتناسون وتتغابون ...

■ المهم متى أُفرج عنه ...

■ عندما صدرت الأوامر العليا من الله عز وجل أيها النمل عودوا إلى أماكنكم وكفى ما حدث للهدف ...

سمعًا وطاعة يا الله ...

وتم رفع العذاب عن فلان هذا بأمر الله وليس بأمر الأطباء...

■ وكيف عرف صاحبنا هذا أن جنود الله فى هذه الموقعة أنتم أيها النمل ؟

■ كانت الشهيدة نملة واحدة أخرجها الطبيب من إحدى أذنيه وعاد الباقى إلى قواعده سالمًا ...

■ كيف تأكد صاحبنا أنكم أنتم أصحاب الموقعة ؟

■ عندما وجد نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء تناجى الله ... فتعجب هذا وقال مثلما قلت أنت ... آه لو أعلم لغة الطير لحدثتك أيتها النملة لأعرف لماذا فعلتم هذا ... فأنطقها الذى أنطق كل شىء وهو على كل شىء قدير ...

■ ماذا قال لها وماذا قالت له ... ؟

■ قال لها : لماذا فعلتم هذا بى ... !

■ قالت له : فعلنا هذا بأمر الله ...

■ قال لها : لماذا أنا بالذات دون غيرى ... ؟

■ قالت له : اسأل نفسك ماذا فعلت فى حق الله وحق الناس وحق نفسك وستجد الإجابة ...

■ قال لها : أنا أخطأت الكثير والكثير فى حق الله وحق الناس وحق نفسى وارتكبت أفظع الكبائر ... لكن لماذا أنا من دون غيرى ...؟

■ ماذا تقصد ... !

■ قال لها هناك آلاف بل الملايين من الكفرة ومن كل الأجناس ومن كل الأديان يعصون الله ويرتكبون المعاصى وينظرون إلى ما حرمه الله ، ويستخدمون كل حواسهم فى معصية الله ويزنون ويكذبون وينشرون الفساد فى الأرض ... لماذا اختصنى الله بهذا العقاب المؤلم ... !

■ احمد ربك يا فلان لأن ربك اختارك للهداية وعذاب الدنيا ياصحبى أهون بكثير قوى من عذاب الآخرة وبعدين قولّى فين العذاب يا صحبى ... ده كان مجرد قَرّصة ودن وشوية زغزغة وعملية إيقاظ وليس تعذيبًا ...

■ كل ده قرصة ودن ... !

■ أيوه بدليل كل حواسك سليمة وربنا أراد ليك التوبة والدخول فى طاعته وحسن عبادته ... أبشر يا أخى برضاء الله عليك واحمد الله .

■ ماذا قال صاحبنا ... ؟

■ قال : الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ... ولن أنسى ما دمت حيًّا فضل الله علىَّ ولن أنسى فرقة الكوماندوز التى لازمتنى أربعًا وعشرين ساعة عذاب ما بعده عذاب إصلاح وتهذيب، ولولا رحمة من ربى

لقُضيَتْ حياتى بفعل هذه المخلوقة الضعيفة. آسف أيتها النملة الصديقة كنت أحسبك ضعيفة لكن من الآن أنت مخلوقة حبُّوبَه ومحترمة. ولك حياتك الخاصة ولا تطفل منى بعد ذلك ...

وظل الحوار دائرًا بينى وبين صديقتى النملة إلى أن أخرجنى نداء زوجتى من متعة هذا الحديث، بإحضارها أحدث أنواع المبيدات الحشرية القاتلة للتخلص من هذا النمل المزعج ...

فأشرت عليها واستحلفتُها بالله أن تتركه لشأنه: هذا خلق الله فاتركيه يسيح فى الأرض هذا جند الله ... فلا بد أن نحافظ عليه فرضخت ... وقالت هذا جنون ... جنون ... وتركتنى ...

**الثالثة فجر يوم الإثنين ٢٠٠٦/٩/١٨**

# إنـــى امـــــرأة

زوجى العـزيز ... أرجـوك صدقنى إنى امـرأة أستـحلفك بالله العظيم أن تحـاول جمع مـا تبقَّى من ذاكرتك وتقـولهـا بكل صـدق لا تحـاول الهـرب والمراوغة، لقد تعبت كفى تعذيبًا وكفـاك عذابًا ... أنا لا أستحق هذا ... !

كل من حولى يحسدنى على جمالى ورشاقة جسدى وروحى الخفيفة ويظنون أننى سعيدة بهذا ... بل يرمقون زوجى بنظرات الحسد على تملُّكه هذا الجسد والجمال الملفت للنظر ...

مع هـذا يا زوجى العـزيز أنت لا تعـرف قـيـمـة مـا تملكه منذ البداية وحتى قرب النهاية ...

فى البـداية جـئـتنى وكـنت الملاذ مـن بيت كـثـر فـيـه الولد والبنت والعائل للأسـرة الأخ الأكـبـر بعـد وفـاة الوالد ... لم يكن لى حـق الاختيار ولم يجبرنـى أحد على الاختيار، إنه مصلحة للجميع ...

فرحتى بالخروج من البيت وأن يحتوينى رجل يعوضنى عن حنان الأب ويحتوينى كامرأة ...

فوجئت بشُحٍّك الشديد فى كل شىء من البداية لم تعطنى إلا أقل القليل مما تطلبه الأنثى، وكأنه واجب تتخلص منه بأى أسلوب ميسر لك. لم أجد أية متعة معك منذ الوهلة الأولى، ونعيت حظى وقلت لعل إشباع رغباتى المادية سيعوضنى أو يكاد يُنْسينى ما أعانيه من كبت رغبات يعز عليك إشباعها؛ لكنها التعاسة بعينها بخيل فى كل شىء ... !

حتى مرتبى لم أسعد به كنت تأخذه من الصراف بنفسك وتقول إن مالى ومالك واحد ... صدقتك بطبيعتى لم أشعر أننى انتقلت من بيت محمل بالديون إلى بيت نظيف خالٍ من الديون ... أبدأ فيه مع زوج يجيد فنون القتال ويحسن المعاملة ويعشق زوجته، للأسف لم أجد هذا ...

تزداد التعاسة أكثر خاصة بعد مجىء مولودى الأول والبحث عن فرصة للسفر للخارج ...

يسافر زوجى ويتركنى بين جدران شقتى أُؤنس وحدتى باللجوء إلى الله أصلى وأقرأ القرآن وأشتكى إلى الله وأدعو لزوجى بالعودة غانمًا ...

ويبعث زوجى الكثير من المال على غير عادته فأسعد به

وأحافظ عليه وأنفذ كل ما يطلبه منى من سداد بعض الديون وأشياء أخرى ...

يعود زوجى فى إجازة سنوية عدة أيام يضيع معظمها فى حساب ما ادخرته وما أدخره ومشاكل أسرته وأين أنا يا زوجى أين زوجتك حبيبتك !

مرات تُعد على أصابع اليد الواحدة لا تُغْنى ولا تُسْمن من جوع وعطش سنة كاملة ... وليتنى شبعت خلال هذه المرات المعدودة، إن جسدى يحترق وأين المغيث؟ إنك يا زوجى العزيز تقدم لى المشويات والمحمرات وما تشتهيه الأنفس وعندما يجرى لعابى وتلتوى أمعائى وتشتكى معدتى طول خُلُوها وتفرح سريرتى بقرب احتوائها وإشباعها ... أُفاجأ بك يا زوجى تلملم كل ما تحتويه السفرة من أطعمة شهية وتضعها داخل الملاية وتأخذها وتقوم مسرعًا هربًا من جوارى أنادى عليك ... حرام عليك كده أمسك فى إحدى رجليك ... ترفسنى برِجْلك الأخرى تضربنى تبعدنى ... قائلاً كفاية عليكى كده هو إنتى مبتشبعيش ... إزاى يا زوجى إننى ما زلت جائعة ... جائعة ... من الذى يطعمنى ويشبعنى ويهدى سريرتى أألجأ إلى أحد من الرجال غيرك يا زوجى ... وأنت وأنا وربنا رب كل شىء ومُطَّلع على كل شىء ... أأُغضب الله ... أأتلصص وأسرق حق غيرى وحقى موجود معى، إننى أصون غيبتك طوال الأشهر الماضية وما الجزاء ... أرجوك أجبنى، رُدّ على ...

■ ماذا أقول لك وأنتى عارفة طبيعتى منذ بداية الزواج أكره هذه العملية القذرة أنا لا أحبها وبرضيكى وخلاص ...

■ ترضينى وخلاص طب ليه اجوِّزت من أصله!

■ سُنَّة الحياة وبلاش الكلام الفاضى ده ...

■ كـــلام فاضى أيـــه ... أنت مش عايـش ... أستغفر الله العظيم...!

■ والله الواحد مش عاوز يرجع من بره عشان خاطر الموضوع ده ...

■ طب وليه متطلقنى وكل واحد يروح لحاله ...

■ طلاق أيه وكلام فارغ أيه أهو عيشة وخلاص عشان خاطر العيال ...

■ مقدرش أقول غير أن ربنا يسامحك على ظلمى ده ...

ويعود زوجى لغربته ... وأكيِّف نفسى للظروف المستجدة، لقد أصبحت بين جدران أنيقة وفرش أنيق وملبس أضاف إلى جمالى جمالاً آخر ... يرمقنى أصدقائى الرجال فى العمل بنظرات خبيثة... أرفضها وأصدها بقوة وأحافظ على غيبته بتمسكى بكتاب الله وسنته وانشغالى بعملى واهتمامى بأولادى وزيارة الأهل والأقرباء ...

وتمر الأيام والشهور والسنون بثقلها المميت ويعود زوجى بعد غياب لا يزيد على عشر سنوات تخللتها إجازات قصيرة لا تُغنّى ولا تُسمن من جوع عشت فيها أرملة مع التنفيذ أرملة وزوجها حى يُرزَق ... يا ليتنى كنت أرملة لتغير الحال ...

تغيرت حياتنا المادية أصبحنا نملك شقة فاخرة مفروشة بأرقى أنواع المفروشات ونمتلك سيارة حديثة نذهب بها إلى عملنا معًا؛ مما يزيد الكثير من أحقاد الزملاء ويظن الجميع أننى سعيدة أننى أسعد مخلوقة فى الدنيا ... جمال وزوج ومال والولد والبنت ... عاوزه أيه من الدنيا تانى ... !

هذه مقولة على كل لسان ... لكن أين أنا من كل هذا يا زوجى العزيز ... لقد نسيت يا زوجى إنى امرأة بل امرأة جميلة ... لم أعد قادرة على المضى فى هذه الزيجة غير المتكافئة من كل شىء ... تفكيرى غير تفكيرك ... اهتماماتك غير اهتماماتى ... حقوق ربنا لا تؤديها ونصحتك أكثر من مرة ... بل هجرتك أكثر من مرة من أجل أن تصلى لم تُجْدِ معك بل جاءت على هواك وأيقنت أنى بعاقب نفسى ... ماذا أفعل معك ... أأطلب الطلاق وماذا نفعل مع أولادنا ... ما ذنبهم فى برود أبيهم ولوعة أمهم ... أتمنى لهم حياة غير حياتى خاصة ما أعانيه لا ألوم غير نفسى لم يجبرنى أحد على الزواج منك لقد تسرعت فى الاختيار لكنه النصيب ... تقول لى : هو أنت لسّه صغيرة ... بدوَّرى على المتعة والمتعة دى زائلة ..!

أنظر إليه ولا أرد عليه ... أنظر بحسرة على شبابى الذى ضاع معه وهو يتكلم على المتعة التى تزول ... أين المتعة التى عشتها معك ومتى وكيف وكم ؟! لقد ماتت قبل أن تُولَد ...

أحدث نفسى وأبكى على نفسى وعلى الجسد الذى يحترق كل ليلة ... أنسج القصص الرومانسية الجميلة لأُشبع رغباتى الثائرة ... ترقد بجانبى على سرير واحد ... أتلمَّس بقايا جسدك دون حراك ...

أشقى على نغمات شخيرك المستمر والمتقطع ... يكاد يُجن عقلى والجسد يلتوى ويستغيث بأى شىء حتى ولو فتات من فتات ... ارحمنى ... حرام عليك لقد مر أكثر من عام على قدومك ولم تلمسنى ... ولا حاجز بيننا سوى فتورك المريض كيف ذلك !

يا زوجى العزيز إنك مريض ... مرض مزمن لا علاج له؛ لكننى كنت غبية ظننت أن العلاج سيُجدى ... كيف ذلك لقد سعيت واقتربت منك بكل طاقاتى الأنثوية المتعددة والتى أجيدها وبكل حيويتى وشبابى وانتظرت وطال الانتظار دون جدوى وتقول لى: خلاص، لقد أصبحت الأرض بورًا ...

لا يا زوجى العزيز لم أعد أرضًا بورًا لا تصلح للزراعة ... أطلق حريتى وسوف ترى هذه الأرض البور ومدى خصوبتها ...

من الذى جعل الأرض بورًا يا زوجى ... إنك لم تعرف قيمة

الأرض التى تملكها ... تركتها ولم تَرْوِ شراييها بإكسير الحياة فجفت شراييها ... لم تحافظ على خصوبتها وغصت فى نوم عميق ...

اتركنى يا زوجى دون نقاش ومحاورة سوفسطائية إننى ما زلت أنثى مفعمة بالعطاء الأنثوى متجددة، لعلّى أجد رجلاً آخر يعوضنى ما عانيته معك من عذاب ويعرف أنى امرأة ...

**الواحدة بعد منتصف الليل ٢٠٠٥/٥/١**

# بـــــاى بـــــاى

تقابلنا بعد غياب عشر سنوات من عودتنا إلى القاهرة فى حفل زفاف أحد أقربائنا، وكانت العروسة قريبة عادل ... تعانَقَ الأبوان تعانُقَ الأحبة وأعادت أمى الذكريات مع أم عادل وأيام الغربة الجميلة فى مدينة الرياض والعيشة الحلوة ما يقرب من عشر سنوات هناك ...

عادل يكبُرنى بثلاث سنوات وكان دائم الشجار معى أيام الطفولة، عندما كنت ألعب معه هو وأخى حمدى الذى يماثله فى العمر أثناء دفاعى عن أخى الذى يتصف بالطيبة على عكس عادل...

لقد تخرج عادل فى الجامعة ويعمل مهندسًا فى إحدى شركات البترول ...

أنا مازلت فى السنة النهائية بكلية الآداب يحدثنى حديث المجاملات أثناء حفل الزفاف ويعدنى بزيارة قريبة إن كنت أرغب

فى ذلك، لم أعده بشىء وانتهى حفل الزفاف وعدنا إلى بيتنا. ولم تمضِ عدة أيام إلا وجاء عادل ووالدته لزيارتنا بعد أن استأذنا فى القدوم ... طلبت والدته يدى من أمى وأعطتنا فترة لتدبُّر الأمر مع والدى وأخذ رأيى ...

وافق أبى على أن تستمر فترة الخطوبة لمدة عام حتى أحصل على الليسانس ، ووافق الجميع على ذلك وبدأ عادل فى التردد على شقتنا كل خميس للمكوث معى فى حضور الأسرة لنتعود على بعضنا ولتحدث أُلفة بيننا وبينه وبين الأسرة ...

بدأ عادل يأتى بسيارته لينتظرنى أمام الكلية أركب معه أمام زميلاتى إنه خطيبى وحبيبى، نذهب لنتناول الغداء أو مشروبات فى أحد الأماكن العامة ثم يصطحبنى إلى شقتنا وكأنه قابلنى بالصدفة على باب العمارة ، وأننى لم أره منذ عدة أيام ...

أصبح التليفون سلواى بينى وبين عادل طوال الليل بعد أن ينام كل من فى البيت نتحدث فى أى شىء عن الحب وعن إعداد عش الزوجية والجنة التى سندخلها معًا وكلام جميل ...

وتمر الأيام حلوة ولم تمضِ عدة شهور ويُتوفَّى والدى فجأة بهبوط فى الدورة الدموية ويخيِّم الحزن على منزلنا وأُصابُ بصدمة كبيرة فى موت أبى ... كان يريد أن يسعد بفرحى ويصبح جَدًّا عن قريب ...

يحـاول عـادل أن يخـفف عنِّى من صـدمـة الموت وظل يمكث عندنا شبـه يومى أثناء إجـازاته من العـمل وأثناء مكوثه فى البحـر كان يحدثنى يوميًّا ليطمئن على ...

أصبح عـادل هو كل حبى أكاد أُجن لو لم أسـمع صوته وعند عودته نكون معًا فى معظم الأحيان .. وأتخرج فى الجامعة وأحصل على الليسانس ويُلحِقنى عمى صلاح بعمل فور تخرجى ...

ونبدأ فى إعداد عش الزوجية، نذهب أنا وعادل لنشترى بعض احتياجاتنا فى صحبة أمى ... وتم إحضار العفش، أقصد الخشب حجرة النوم وحجرة السفرة وحجرة الأولاد والصالون واثنين أنتريه وجميع الأجهزة الكهربائية من غسالة فول أتوماتيك وبوتاجاز جليم جاز ومكنسة كهربائية وغسالة أطباق وتليفزيون ودِشّ كامل وغيرها من الأجهزة ، واخترت أفخم أنواع الستائر وتم تفصيلها وتركيبها والنجف الشيك والغالى ...

وأخيرًا تم كتب الكتاب ليكون زواجى على سُنَّة الله ورسوله .. أيام جميلة سعيدة : متى يغلق علينا باب شقتنا وأكون أنا وأنت يا عادل يا حبيبى ، ونبدأ حياة زوجية سعيدة ... ويُحدَّد موعد الزفاف ويتم حجز إحدى أكبر قاعات الفنادق الكبرى ... وقبل الموعد بأربعة أيام أحسست بورم فى ثَدْيى الأيمن قلت لأمى وكانت صدمة لها : ماذا نفعل ، لم نذق طعم النوم فى هذه الليلة حتى

ذهبنا إلى الطبيب الذى أشار علينا بتأجيل حفل الزفاف لما بعد إجراء العملية الجراحية لاستئصال الورم من الثدى وتحليله ...

وخيَّم الحزن على منزلنا وأبلغنا عادل وأسرته وتم تأجيل حفل الزفاف وإلغاء كل الترتيبات المُعدَّة ، وساءت حالتى النفسية وتملَّكنى الشيطان أنه ورم خبيث وأننى سوف أموت ... سأموت ... وجلست أبكى معظم وقتى وأنا وحيدة إلا فترات وجود عادل معى يخفف عنى، وقرر ألا يتركنى مهما حدث وأننا لا يجب ألاَّ نسبق الأحداث لعله يكون ورمًا حميدًا ...

وتمر أيام ثقيلة حزينة ... وتُجْرَى لى الجراحة بنجاح والحمد لله ويُجْرى لى عملية تجميل مكان الجراحة فى نفس الوقت، وعندما أفقت من البنج وجدت عادل وأمى بجوارى ... حمدت الله على عودتى للدنيا الجميلة ويتم تحليل العينة وحمدًا لله وبفضل منه عز وجل تعلن النتيجة أن الورم حميد وليس ورمًا خبيثًا، ويفرح كل من حولى ويهنئوننى بسلامة العودة إلى المنزل. ولم تمضِ عدة أيام قليلة حتى تماثلت للشفاء، وسمح لى الطبيب بالعودة إلى عملى وممارسة حياتى الطبيعية ...

لكن عادل حبيبى وزوجى على الورق تغير حاله لم يعد عادل كما عرفته، أصبح وجوده معى قليلاً وإذا جاء لا يتحدث كعادته كأسرة واحدة ... وأصبح مكوثه فى العمل أكثر من المعتاد حتى واجهته وطلبت اللقاء ...

■ أيه يا عادل أنت متغيَّر من بعد العملية ...

■ لا مفيش حاجة دى مشاكل فى الشغل وبس ...

■ لا يا عادل متضحكش علىَّ أنا حاسَّه بيك ... قولِّى فيه حاجة لو سمحت ... أنت فيه حاجة تعرفها واحنا منعرفهاش ...

■ يا رضوى بلاش نكلِّم فى الحاجة دى دلوقتى ..

■ حاجة أيه يا عادل حاجة بخصوص العملية ؟

■ أيوه يا رضوى ...

■ الورم طلع خبيث وأنتم مخبيين عليَّه ...؟

■ لا والله الورم طلع حميد والحمد لله ...

■ الحمد لله أُمَّال فيه أيه يا عادل ...؟

■ حقيقى أنا يا رضوى رحت للدكتور اللى عملِّك العملية وسألته عن حالتك ...

■ قالَّك ما صلحش للجواز ...

■ لا مش كده ...

■ أُمَّال أيه يا عادل اكلِّم ...

■ قالِّى إن احتمال الورم اللى جه فى الثدى اليمين هيجى فى الثدى الشمال ...

■ الدكتور قالّك كده يا عادل ...!

■ آه والله العظيم ده حصل ...

■ عشان كده أنت متغير من يومها ...

■ لا والله يا رضوى أصل أمى كانت معايا عند الدكتور وقالت ...

■ متكملش يا باشمهندس ... أنا مصلحش للجواز .

■ أنا مقلتش كده ...

■ أمك اللى قالت ...

■ مش زى ما أنت فاهمه ...

■ على العموم ربنا ينتقم من كل ظالم ...

■ أنا مظلمتكيش يا رضوى ...

■ أنا بقول كل ظالم يظلم إنسان أو إنسانة بريئة ذنبى أيه أنا يا عادل ده من عند ربنا ... وربنا ممكن يجيبه لأى حد ...

■ يا رضوى أنت أخدتى الموضوع أفش كده ليه !

■ أنا يا عادل ... على العموم أنا هقول لماما ولعمى وهنضع حل لهذا الموضوع ...

■ اتفضلى أوصّلك البيت ...

■ لا أنا متشكره أنا عارفة أروَّح كويس ...

■ هوصلك بالعربية ...

■ لا متشكره هاخد تاكسى ...

وأعود إلى شقتنا وحزن الدنيا كلها يحتوينى حتى وجدت أمى فى انتظارى، أحست بى أخذتنى فى حضنها وبكيت وحكيت لها ما حدث من عادل وأمه وذهابهما إلى الطبيب المعالج ، وتغير عادل بمعاونة أمه ورفضها لإتمام الزواج ، وتحتار أمى ماذا تفعل لا بد من عرض الأمر على عمك صلاح. ويحتار الجميع مما حدث وينقطع الاتصال مع عادل لعدة شهور بناء على تعليمات عمى صلاح؛ لكى يعود عادل إلى رشده ...

ويتصل عادل بعمى صلاح تليفونيًا ويطلب منه اللقاء ، وكان اللقاء لوضع ترتيب الطلاق والانسحاب من هذه الزيجة التعيسة ومن الزوجة المريضة ... ربنا يسامحك يا عادل أين سنذهب بعفش الزوجية الذى لم أدخل عليه ... يأخذه عمى ويضعه فى شقته المغلقة ونقتسم الأجهزة وأشياء أخرى ...

وأصبحتُ الآن المطلقة البِكْر ... لا ملجأ لى سوى الله عز وجل، أصلى والناس نيام أدعو الله. ولم أدعُ على أحد بالسوء لكن كنت أقول عليك يا الله بمن ظلمنى ... من الذى ظلمنى ... !

خطيبى الذى تركنى ... !

أم الطبيب الذى تنبأ بانتقال المرض وأفشى سرًّا لخطيبى ... !

أَمْ أُمٌّ خطيبى ورفضها الارتباط بزوجة قد تمرض فى المستقبل ... !

ولم يمضِ ما يقرب من عام إلا ويُصاب عادل بورم خبيث فى المخ ولم يُجْدِ علاجه هنا فى مصر وتقرَّر سفره للعلاج فى فرنسا على نفقة شركة البترول التى يعمل بها ويطلب عادل مقابلتى ... أرفض لكن أمام إلحاح أمى وقرب سفره إلى فرنسا أوافق .. لم يعد عادل الذى أعرفه شبابًا وحيوية وجسمًا قويًّا مفتولاً، لقد أصبح رجلاً واهنًا قضى عليه المرض .. سبحان الله ... ! طلب منى عادل المغفرة وأن أسامحه عما ارتكبه فى حقى وحق أسرتى ... !

وعدته ودعوت له بالشفاء وذهبت إلى المطار لأودعه، ووقفت فى شرفة المطار يلوِّح لى بيده وألوِّح له بيدى قائلين : باى باى ...

الثالثة فجر يوم ١٩/١٠/٢٠٠٥

# خـــالى والعـــاهـــرة

فى طفولتى كنت أعرف أن لى خالاً واحدًا ضابطًا بالقوات البحرية كنت أتباهى به عندما يأتى لزيارتنا فى بلدتنا، لكن عرفت بعد ذلك أن لى خالاً آخر مسافرًا إلى فرنسا وعندما حدثتنى أمى عنه تمنيت أن أراه. قالت أمى : إنه مسافر إلى الخارج بعد فشله فى الحصول على الثانوية العامة، معتقدًا هو وبعض أصدقائه أن أوروبا مفروشة بالورود وأن الحل هو الخروج من مصر بأى ثمن ...

سافر خالى إلى ميلانو وتزوج فرنسية من جنوب فرنسا يُقال إنهم مثل الجنوب عندنا من أهل الصعيد يحافظون على التقاليد...

تزوج خالى وعقد قرانه فى إحدى الكنائس هناك، واتفقا أن يظل كل واحد منهما على ديانته، خالى مسلم وزوجته مسيحية ...

رزقهما الله ببنتين سبحان الخالق فيما أبدع ما أجمل صورتهما ...!

■ الله يا ماما هو خالو ما بيجيش مصر خالص ؟

■ لا يا حبيبى بييجى يمكن ييجى السنة دى فى الإجازة الصيفية ...

يعود خالى إلى دياره بصحبة زوجته وبنتيه يقابله إخوته وأمه بالترحيب والعزومات ... سنى تكاد تقترب من سن بنته الكبرى ...

خالى يعتبرنى صغيرًا وهذه حقيقة، فأنا لم أتعد السنوات السبع ...

يأخذنى خالى الأكبر أثناء جولات خالى الأصغر وزوجته وأولاده بصحبة أمى وجدتى ...

يقضى خالى عدة أيام جميلة يزور فيها كل معالم مصر القديمة والحديثة ، ويذهب إلى الأقصر والغردقة وشرم الشيخ حتى تتشبع زوجته وبناته بجرعة سياحية مصرية فى زيارتهم الأولى لمصر ...

تكررت هذه الزيارة كل عام وكل عام تتغير أشياء كثيرة أهمها أننا نكبر سنًا وفكرًا ... حتى انقطع خالى وأسرته عن المجىء إلى مصر لعدة سنوات تكاد تقترب من السنوات الخمس ... تموت خلالها أمى وجدتى ... !

يعود خالى بمفرده إلى القاهرة فى رحلة عمل بصحبة رجل أعمال فرنسى لعقد بعض المشروعات فى مصر، ويمكث عدة أيام ثم يعود إلى فرنسا ثم إلى القاهرة مرة أخرى ...

أصبحت أنا شابًا بالجامعة أمتلك سيارة خاصة بى؛ ولذلك تقرَّب لى خالى لأصطحبه أثناء وجوده فى مصر ويصطحبنى حتى فى مبيته بأحد الفنادق. وأصبح خالى أخًا أكبر لى يحكى لى ما يحدث له ويفكر بصوت مرتفع حتى يشركنى فى مشكلته ، وكان يأخذ رأيى فى بعض الأمور. كانت طموحات خالى أكبر من إمكاناته المتاحة، كان كلامه معسولاً وأفكاره عظيمة عندما تُحكى... ! لكن يا خالى الناس مش عُبّط ... ! يا خالى أنت طيب أكتر من اللازم لا يسمع كلامى ... خالى ! ... يا خالى ارحمنى وارحم نفسك ...

ينفق خالى القرشين اللى معاه ثم يعود إلى فرنسا ليحضر اليورو وما أدراك ما اليورو ...!

يا خالى إنفاق ببذخ بدون فائدة ... يا خالى كل مشاريعك فاشلة لماذا ... ! يقول لى حظ بس هتضرب معاى ... اصبر يا بنى... اصبر ... اصبر أيه بس يا خالى ما أنت بقالك أكثر من خمس وعشرين سنة فى فرنسا لم تفعل شيئًا تشتغل شويه مترجم ثم تعيش على ما تأتى به زوجتك من مشروع المغسلة التى تمتلكها...

يأتى خالى بمفرده ويفتح مكتبًا بمصر هو وشريك مصرى متزوج فرنسية أيضًا ، ويبدأ المكتب فى تحقيق بعض النجاحات وبدأت أعمل مع خالى أنا وأولاد خالاتى لكن عرفت ما سبب

فشلك يا خالى ... النساء هُنَّ سبب فشلك يا خالى ... طول النهار قاعد أنت وواحدة داخل المكتب أكل وشرب وممنوع حد يدخل المكتب لأهمية الجلسة ... ولما يأتى شريكم الخواجة تتنازل عن هذه الفتاة المدة التى يقضيها هنا كيف ذلك يا خالى ... ! وبشّر الزانى والزانية بالفقر ولو بعد حين ... سبحانك يا رب لم يمض إلا القليل ويفشل المكتب ويُسرَّح موظفوه ويُباع أثاثه أو بالأصح يُنهب ... !

ويحاول خالى مرة أخرى داخل مصر ... ما تسافر يا خالى ... لا مش مسافر ... ليه يا خالى ... هعمل مشروع آخر وهكسب وهعوَّض الخسارة. ويأخذ شقة مفروشة فى إحدى ضواحى مصر الجديدة بحثًا عن الاستقرار داخل مصر بين أهله ... وأين يأتى الاستقرار وأنت مدمن النساء وبعيد عن الله ... ! وأسمع كلام رسولنا الكريم : إياكم والزنا فإن فيه ست خصال : ثلاثة فى الدنيا وثلاثة فى الآخرة. فأما التى فى الدنيا فنقصان الرزق يعنى تذهب البركة من رزقه ويصير محرومًا من الخيرات ويصير بغيضًا فى قلوب الناس، وأما التى فى الآخرة فغضب الرب وشدة الحساب والدخول فى النار. نعرف ذلك، ومع هذا نصرُّ على المعصية يا خالى... !

يأتى خالى أو أصدقاؤه ببعض فتيات الشقق المفروشة لقضاء بعض الوقت معهن وأنا معهم حتى أدمنت شقة خالى، حتى فى أثناء سفره إلى الخارج لفترات محدودة كنت أنا الذى أحضر فيها فتيات

وسيدات منك لله يا خالى ماذا أفعل ... ! وأنا ضعيف غير مسلح بالإيمان أعرف العقوبة وأنحرف معك من حلاوة اللذة القذرة ... حتى فوجئت بأن خالى ترك الشقة المفروشة وذهب إلى إحدى الشقق المُؤجَّرة إيجارًا عاديًا ... لقد تزوج خالى ...

- إزاى يا خالى ...!
- جواز عُرْفى ...
- أنت عرفتها إزاى وإمتى ...؟
- المحامى بتاع إسكندرية هو اللى جابها ...
- جبهالك عشان تتجوزها ...؟
- لا ... لا هو جابها عشان تعيش معايه شوية فرفشة ...
- وبعدين أيه اللى حصل ...؟
- صعبت عليه وحسّيت أنها عاوزه تتوب وتتجوز ...
- وهتوب على أيدك أنت يا خالى ...!
- أيوه واجوزتها بعقد عرفى بس متقلش لحد ... إوعى ...
- ومراتك المحترمة أم عيالك ...!
- مالها ...!
- مالها أيه مش حرام عليك وبناتك عاوزينك جنبهم ...!

■ بقلّك أيه هو أنت هتتصحنى ...

■ آسف يا خالى ...

■ تعالى معايا هدوّقك أكلها ...

■ فين يا خالى ...

■ فى بيتى ... أقصد فى شقتها ...

■ فى شقتها كمان يا خالى ... ياللا ...!

وسوّيت أمورى مع خالى وأحسست أنه كالطفل الصغير الفرحان بالعروسة وكأنه لم يتزوج من قبل ...

هذه امرأة عاهرة متمرسة ... تجيد الممارسة ... ! وتجيد ... !

لقد ضحكت عليك يا خالى لتمارس مهنتها بمشروعية وفى أمان على حِسّك يا خالى العزيز؛ لكن هقول أيه مفيش فايدة ...!

أصبح زواج خالى الصغير المصرى الفرنسى سرًا لا يعرفه إلا أنا وصديقه المصرى الفرنسى والمحامى الذى عقد الصفقة ...

يسافر ليحضر اليورو ثم يأتى إلى زوجته لينفق ببذخ؛ لدرجة أنه باع كل ما يملكه من إرث ورثه عن أمه وأبيه ليشترى لها شقة جديدة وسيارة جديدة ...

يسافر خالى ويمكث بالشهور فى الخارج لكنه يرسل إليها كل

عدة أيام شيكًا بمبلغ كبير .. حظوظ يا خالى .. ! زوجتك الفرنسية تحصل على المال بمشقة الوقوف طوال النهار بالمغسلة التى تملكها وتنفق على أولادك فى تعليمهم يا خالى حرام عليك كده ...!

والله العظيم بكره تطردك من شقتك قصدى شقتها هيه اللى كتبتها باسمها وسوف ترفض ركوبك سيارتك أقصد سيارتها هيه التى اشتريتها لها ... خالى إصحى يا خالى كفاك نوم عميق ... لم يسمع لى خالى كل ما أنصحه به ... !

حتى فوجئت أنا ووالدى بخالى يستغيث بنا فذهبنا إلى شقته فوجدنا زوج أختها ومعه ناس آخرون موجودن عندها. لماذا ... !

لأن خالى أصبح لا يملك أى نقود معه وأصبح وجوده عالة ... هذا ما قالته زوجة خالى وهدَّينا النفوس ويسافر خالى لإحضار النقود ...

ويعود أيد ورا وأيد أُدَّام لم يحضر معه إلا شوية شيكولاتات وشوية بمبونى ... !

طردته من الشقة وحرَّمت عليه ركوب السيارة ... أنت لا تصلح الآن ... أنسيت أنك مموِّل عبيط ومستحملة عيوبك من أجل مالك ... ضاع المال مع السلامة يا صاحبى ... أشوف غيرك ... !

جاء خالى يبكى لما حدث ويعيش معنا أنا وأبى فنحن نعيش بمفردنا ورحبنا به، ونصحه أبى بأن يقطع هذه العلاقة لكن مفيش فايدة ... ! تحدثه بالتليفون ويحدثها وتضحك عليه بكلمتين وتشور عليه بإحضار عدة آلاف من أخيه اللواء إنه مبسوط وأيه المانع أن يسلفه، ويحقق لها خالى مطالبها مقابل أن يعود إلى شقتها مرة أخرى ...

وأصطحبُ خالى الفرنسى الغلبان المغلوب على أمره لنذهب إلى خالى اللواء الذى لا يعرف المحن التى يمر بها أخوه، وفى إحدى ضواحى مصر الجديدة فوجئنا بسيارة خالى وجهًا لوجه يقودها شاب وبجواره مرات خالى ويتغير لون خالى ويغمغم ببعض الكلمات غير المفهومة : مين ده ...؟! ويحدثها على الموبايل تقول له إنه الميكانيكى ... ميكانيكى أيه يا خالى دى كل يوم مع شاب أنت طيب يا خالى ... أنت شُفّت بعينك. ويحزن خالى ويعود إلى بيتنا مرة أخرى وأحكى ما حدث لأبى فينهره بشدة ...

- أنت مش راجل ...!
- أيه الكلام ده يا حاج ... لو زعلان من قعادى عندك همشى...
- متمشى يا أخى ... ضحكت عليك وخدت كل فلوسك هو أنت مفكر أنها وخداك ليه تاخد فلوسك وتمتع شبابها مع شاب زيها ...

■ إزاى الكلام ده يا حاج ...

■ دى حقيقة مراتك الفرنسية رمت طوبتك ليه ... عشان ملكش فى الموضوع ده بس هيَّه إنسانة محترمة استحملت أرفك عشان تربى أولادك ...

■ أُمَّال دى اجوزتنى ليه ...!

■ أيه ضحكت عليك متمرسة ...

■ طب أيه الحل ؟ دى ممكن تودينى فى دهيه وتبلغ عنى أننى مجوِّز ومخُشِّش فرنسا تانى !

■ ورقة العقد معاك ولاَّ معاها ...؟

■ الورقتين معاها سرقت ورقتى ...

■ خلاص هنشوف محامى يخرجك من هذا الموضوع ...

■ بس أنا برضه بقول إنها بنت غلبانه وعاوزه تعيش وفعلاً اللى معاها ده ميكانيكى ...

■ مرة ميكانيكى ومرة سباك ومرة ..مفيش فايدة فيك ...!

■ أوم نام وبكره يحلها الحلاَّل ...

ويسافر خالى فى الخفاء من وراء زوجته حتى لا تبلغ عنه، وأفاجأ بأن خالى يبعث لها كل أول شهر مبلغًا من المال يكفى أسرة مكونة من عشرة أفراد ويحدثها كل عدة أيام من خلال التليفون ... إبعت يا خالى فلوس لأولادك لتتمتع بها العاهرة كل يوم

بين أحضان رجل آخر ... إنك يا خالى العزيز مريض نفسى ومريض... !

للأسف، ياليتنى لم أعرفك يا خالى ... !

ياليتنى لم يكن لى خال آخر ...

ياليتنى لم تلدنى أمى لأرى أناسًا مثل خالى صفتهم ونعتهم أفظع الألفاظ التى ينطقها لسان فاجر ... !

ابقَ فى الخارج ولا تَعُدْ مرة أخرى ... ! ابقَ مع أولاد خالى الذين نعرفهم ولا يعرفوننا ... !

ابقَ مع بناتك اللاتى تربين فى جو أوروبا ..

لقد نسيت أن لى خالاً آخر عشت معه أيامًا أثقلتنى بحمل نفسى ينوء جبل بحمله ... !

إننى أتعذب من أجلك يا خالى ... !

لقد ذهبت إلى العمرة لأغسل ذنوبى لكن أبت ... !

اتركنى يا خالى ولا تحدثنى من خلال الهواء، حتى صوتك لا أريد أن أسمعه عش أنت والعاهرة ... إن الله يهدى من يشاء ... ويعلم ما تخفى الصدور ...

فجر يوم ٢//١٢/٢٠٠٥

# روح حـبـيـبـى

لا أستطيع أن أنسى كلماته الرقيقة الرنانة فى أذنى فى المكالمة الأخيرة قبل أن يفارق هذه الدنيا الفانية ...

- أمنية ... أمنية ...
- حبيبى ... روحى ... وحشتنى قوى ... قوى ..
- أنت أكثر ... يا أغلى أمنية تمنيتها ... إننى أحبك ... أحبك ...
- أنت عامل أيه دلوقتى يا حبيبى ... مش أحسن ...؟
- الحمد لله على كل حال ... اقترب الموت يا أمنية ...
- متقلش كده ...
- دى الحقيقة يا حبيبتى لأن الموت هو الخلاص من قيود الدنيا ...
- حرام عليك متقلش كده ... بكره تخف ونرجع تانى ...
- الموت هو الحرية وبداية حياة حرة جديدة وسعادة جديدة

وإظهار ما فى داخلى من حب عجزت عن ترجمته فى عالم المادة ... فاهمة يا أمنية ...

- يا سيدى مش مهم وقلتلك أنا راضية بكل ظروفك ...
- فات الأوان يا حبيبتى ...
- كفاية يا حبيبى كلام ... أرجوك ...
- سيبينى أتكلم لو سمحتى ...
- خايفة عليك ...
- متخفيش ... أنت عارفة يا حبيبتى الموت ده هو الفرصة الوحيدة للروح البشرية للخلاص من أغلال الجسد الترابى الذى يقيدها بأرض منفاها ، والموت هو اللى هيعطى للروح فرصة استرجاع كامل حواسها منطلقة من علَل الجسد المادى وأمراضه المحكومة بنواميس بيولوچية وفسيولوچية لا صلة لها بالجسد الأثيرى. سمعانى يا أمنية وللا سرحتى ... أنا سامع بكائك ...
- سمعاك يا حبيبى ... بس أيه الكلام ده أنا أول مرة أسمعه فى حياتى ..!
- وآخر مرة ... لا تتعجبى يا حبيبتى إنها النهاية ...
- متقلش كده ... أرجوك ... أرجوك ...

■ إنها الحقيقة يا أمنية ... شبح الموت يقترب منى إنها اللحظات الأخيرة لى فى هذه الدنيا ...

■ من فضلك بلاش كلام ... كلامك غريب ... أنا جيَّالك المستشفى حالاً مجرد دقائق هكون جنبك ...

■ أرجوكى اسمعينى مفيش وقت ... ملك الموت مش هيستنى وعشان خاطرى بلاش بكاء ...

■ أنا مش قادرة أنت لو مُت هَموِّت نفسى وراك !

■ بلاش جنان يا حبيبتى واستغفرى ربنا ...

■ أستغفر الله العظيم ... بس أرجوك متسبنيش دأنا مصدقت لقيتك يا حبيبى ... عشان خاطرى وخاطر حبنا ...

■ الموضوع مش بأيدى ولا بأيدك ... الموضوع أكبر مما نتصور ولا يستطيع العقل أن يدركه ..

■ عاوز تقول أيه يا حبيبى ... بلاش الفلسفة الصعبة دى ...

■ أرجوكى افهمى كلامى عاوز أقولك إن هناك غايات أخرى أسمى كثيرًا من إشباع مطالب الجسد وشهواته ... بل أسمى من مطالب النفس ورغباتها ولو كانت من أنواع راقية... سمعانى يا حبيبتى ...

■ سمعاك يا حبيبى ... كفاية كده عشان خاطرى .

■ أرجوكى أنت بلاش بُكا صوتك بيعذبنى وهو مخنوق ... !

■ أنا أعذبك دأنا روحى فداك يا أعز حبيب ... أنت روحى ... مالك يا حبيبى ... صوتك بيضعف قوى ...!

■ مش قادر ... روحى قربت على الانفصال عن الجسد ... إننى أجاهد وأقاوم بالحديث معك ...

■ خلاص يا حبيبى مترهقش نفسك بالكلام ...

■ سيبينى أكلِّم للمرة الأخيرة ... وبلاش عياط أرجوكى ...

■ اتفضل يا حبيبى ...

■ الموت يا حبيبتى هو اللى هيحرر روحى من قيود الزمان والمكان للتفرغ إلى تحقيق مطالبها الراقية فى العاطفة عن طريق حياة أكثر نشاطًا ...

■ وأنا يا حبيبى ... ستتركنى فى دنيا الفناء لأتعذب وحدى ..!

■ مين قال كده ... روحى هتكون معاكى علطول فى كل مكان ستذهبين إليه ...

■ مش مصدقة ... أنت بتضحك عليَّه عشان أبطل عياط ...

■ أنت اتعودتى منى كده ...!

■ لا يا حبيبى ... أنا آسفة ...

■ ثقى فى كلامى وعيشى على هذا الأمل ... روحى مش هتموت ...

■ أعيش من بعدك إزاى ... مش ممكن ... أنا مش فاهمة حاجة ...

■ كل شىء ممكن وأرجوكى متتعبنيش أكثر من كده وبطلى عياط وعاوز أسمع صوتك الجميل الرومانسى وهو بيودعنى ...

■ وداع أيه بس أرجوك متقلش كده ... فين الكلام الحلو بتاع زمان قولّى منه شوية ...

■ مقدرش يا أمنية فات الأوان ولكل مكان ووقت مقام ...

■ متقدرش ليه يا حبيبى ...!

■ عشان حان وقت الفراق ... إن ملك الموت يقف أمامى بيستعجلنى فى إنهاء المكالمة ... مع السلامة ... مع السلامة...

وتنتهى المكالمة وهو يردد بصوت منخفض ومتدرج ... أمنية ... أمنية وأنا أصرخ ... أصرخ بأعلى صوتى ... متسبنيش ... متسبنيش ... ويُغمى على ولم أدرِ بما حدث لى حتى وجدت نفسى فى المستشفى أصارع الموت وعُلّقت لى المحاليل الطبية وأشرفت على الموت وأنا سعيدة لألحق بحبيبى ... لكن هيهات هذه الأمنية

بالذات لا تتحقق إلا بأمر الله وحده سبحانه يُحْيى ويميت ... وأتماثل للشفاء ... وعدت إلى شقتى حزينة مثقلة بهموم الدنيا كلها وحيدة ... أعانى من حالة اكتئاب حادة ، وعلمت أن حبيبى تُوفِّى فى نهاية مكالمته معى وهو ممسك سماعة التليفون. هذا ما قالته لى صديقتى التى صادفها الموت وهى فى زيارة حبيبى بالمستشفى، والتى ترك معها ورقة صغيرة لتوصيلها لى ... كلمات معدودة {لا تحزنى أيتها الحبيبة الغالية على فراقى فالموت حق ودعى الزمن يفعل فعله ولا تيأسى من رحمة الله ... إنى أحبك ... أحبك ... أحبك ... وأنا فى انتظار اللقاء الحميم } ...

وأخذتُ هذه الورقة التى أشعلت أحزانى أكثر وداومت على قراءتها وانتظرت روح حبيبى أن تزورنى كما قال لى وداومت على الصلاة وقراءة القرآن ... وأنهيت قراءة المصحف الشريف أكثر من مرة على روح حبيبى وأنفقت الكثير والكثير من المال للفقراء والمساكين كصدقة جارية على روحه الطاهرة ... إنى أحس بروحه تحوم حولى فى المنزل ... لقد انقطعت عن الدنيا كلها ... عملى، صديقاتى، أقربائى ... إننى أمكث فى شقتى فى انتظار زيارة روح حبيبى تأتى لتحدثنى وأحدثها تؤنس وحدتى وأشتكى لها حالى ...

ولم تمضِ عدة أيام ... ربما أسابيع الله أعلم لقد تلاشى عندى الزمن وتوحد، لم أعد أدرى إذا كنا بنهار أم بالليل، لم أعد أستطعم طعامًا ولا أعرف من يأتى به إلىَّ ولا أشعر بإشباع ولا لذة

فى أى شىء ... سلواى الوحيدة قراءة القرآن والمداومة على الصلاة. وفى ليلة طال انتظارها وبعد أن أنهيت صلاة العشاء وقرأت ما تيسر لى من القرآن الكريم وقرأت الفاتحة على روحه ... وألقيت بجسدى النحيل على أريكة الأنتريه وعيناى تقرآن الآية القرآنية المعلقة على الحائط أمامى ... حتى سمعت صوتًا خافتًا قادمًا من بعيد يعلو ويدنو ... ينادى ... أمنية ... أمنية، إنه صوت حبيبى ...

- أهلاً يا حبيبى ... أخيرًا افتكرتنى ...!
- أنا فاكرك علطول ...
- أنا مش مصدقة ودانى ...!
- لا صدقى مش أنا قلتلك هكون معاكى علطول ..
- وَحِشّنى قوى يا حبيبى ...
- وأنتى كمان ...
- مقدرش أشوفك ...
- لا طبعًا يا حبيبتى وأنتى معاكى صورتى ...
- ليه ما شوفكش ... ؟
- لأنى دلوقتى روح فقط يا حبيبتى أنت نسيتى ولا أيه ...
- لا منسيتش ... أنا بقرأ قرآن كل يوم بيوصلك ؟

■ نعم وصلنى والحمد لله وربنا يتقبل ...

■ والصدقات الجارية التى أنفقها من أجلك ... ؟

■ نعم وصلتنى وأشكرك على تعبك معايا ...

■ تعبى أيه متقلش كده دأنتا حياتى وأنت عارف كده ...

■ وأنت توءم روحى وأنتى عارفة كده ...

■ وصحتك عاملة أيه ... ؟

■ الحمد لله ... أمراض الجسد الأثيرى غير معروفة هنا ...

■ احكيلى عن حياتك هناك ...

■ حياة سهلة وجميلة ... رحبة ... العلانية هى أسلوب الحياة ودستورها، فلا يمكن لأى إنسان أن يخفى تصرفاته أو يسترها بستار من الرياء والنفاق ...

■ وبتتكلموا زى ما إحنا بنتكلم كده ...؟

■ لا طبعًا، الفكر هو الطريقة الطبيعية للتخاطب هنا ...

■ يعنى من القلب للقلب دون كلام ...

■ دى حقيقة حب متبادل دون كلام يعبر عنه ... مش أنا بقولك حياة أبدية سلسة لا عناء فيها .

■ وعبادة الله عز وجل بنفس أسلوبها هنا ...!

■ عبادة الله عز وجل فى كل مكان وزمان وهنا تجدى كل أسلوب ونمط، وكلما ارتقت الأرواح بنورية الرحمن خفت حدة الفروق بينهما فلا تجدى إلا النفوس الطيبة وقد جمع الحب والفهم المتبادل شملهم .

■ احكيلى عن الحب عندكم يا حبيبى ...

■ الحب الطاهر العميق هو كل شىء فى المناطق العليا يجمع بين الحبيبين ...

■ هل روحى ستقابل روحك بمجرد موتى ...؟

■ نعم، إذا أحب رجل امرأة حبًا طاهرًا عميقًا فسوف يكون حب هذه المرأة لهذا الرجل شريكًا أو توءمًا له بالنفس والروح ...

■ وهل سنتزوج يا حبيبى ...؟

■ نعم يا حبيبتى، زواج من نوع خاص . عاطفة الحب بين الأزواج هنا هى وحدها أساس الصلات الزوجية، والزواج يا حبيبتى اتحاد يقوم على الحب والحب بركة إلاهيه ...

■ شوَّقتِنى لهذه السعادة يا حبيبى ...

■ نعم يا حبيبتى إن السعادة الزوجية هنا سعادة لها مذاق خاص؛ لأننا هنا نعيش إلى الأبد فى انسجام وتوافق منشود ...

■ كيف أتعجل موتى لنتقابل معًا ...؟

■ استغفرى ربك ومتقليش كـده تانـى ... الموت لا يعلمه إلا الله ...

■ أنا عايشه ومش عايشه ...

■ متقليش كده برضه حرام عليكى أنتى عارفة ربنا كويس ...

■ أستغفر الله العظيم من كل كلمة تفوهت بها دون قصد ...

■ اسمعى يا أمنية كلامى ده ونفذى أرجوكى ...

■ اتفضل يا حبيبى أنا سمعاك كويس ...

■ آخرة حزنك أيه ...!

■ مش عارفة ...

■ عشان كده بقولك كفاك حزنًا وبكاءً على فراقى وامسحى دموعك وعيشى حياتك الأرضية لحين انتهاء أجلك والله أعلم به، وحين تأتين ستجدين متع تانية خالص ... متع نقية عميقة متدفقة فياضة ... ليس بمقدورك أن تتخيليها ولا أستطيع أن أصفها لك ...

■ ريَّحت قلبى قوى يا حبيبى ...

■ أنا مضطر أمشى دلوقتى ...

■ هو أنا لسه شبعت منك ولسه ماحكتلكش ...

■ مش وقته حان وقت الفراق لازم أمشى ...

■ طب هتيجى تانى إمتى ...؟

■ الله أعلم ...!

■ طيب أعمل أيه عشان تقدر تجيلى تانى ...؟

■ اجتهدى فى عبادة الله أكثر وأخلصى فى طاعة الله ...

■ أنا والحمد لله مطيعة لأوامر الله ومداومة على طاعته ...

■ أنا سامع جرس التليفون بيرن ردى عليه ...

■ أنا مش سامعه أى حاجة ومش عاوزه أرد على أى حد عاوزه أسمعك بس ...

■ مش ممكن ردى على التليفون ... سلام عليكم.

ويُخْرجنى جرس التليفون من حالة الاتصال الروحانى مع حبيب قلبى الغائب جسديًا والحاضر معى بروحه الطاهرة ...

من سيكون على التليفون ؟ إنها صديقتنا أمينة سر حبنا والتى تعرف كل صغيرة وكبيرة عنا، وهى التى أحضرت لى ورقة العهد من حبيبى ... حكيت لها ما حدث بالتفصيل ... خافت علىَّ من وجودى لوحدى فى شقتى، وأصرت أن تحضر وتصحبنى لأحد الأطباء النفسانيين. رفضت فى أول الأمر وبعد إلحاح والأُخوَّة التى تجمعنا، رضخت وذهبت معها ...

ونذهب إلى الطبيب وتتعدد الزيارات والجلسات ويزداد النقاش بينى وبين الطبيب والتحدث عن الغيبيات واتصال الأرواح، وأن الإنسان روح لا جسد .. يقنعنى وأقنعه ...

أشرح له حقيقة الاتصال الفكرى والروحى مع من أحببت فينكر حديثى تارة، ويضع هذا تحت بند أحد الأمراض النفسية الخطيرة ويحاربنى تارة أخرى .. أفكار مشوشة ...

وخلال هذه الجلسات تأتينى روح حبيبى وأحكى ما يحدث للطبيب؛ فينكر ويعطينى دواء فاقدًا فاعليته ...

يا طبيب القلوب الحائرة، الاتصال بالأرواح يُنْشِئ صله يتمناها كل إنسان مع أحبائه ممن فصلهم عنه جبروت الموت العاتى، فليس الموت نهايتهم وإنما هو بداية الحياة الحقيقية لهم ...

إن السماء تتلألأ بعظمة الله الناطقة فى الكواكب المضيئة والتى تنطق بها أرواح الموتى الذين فقدناهم ومعهم روح حبيبى .. كل من حولى ينظرون إلىَّ نظرات عطف وتحسُّر على حالتى ...

هل أنا مريضة نفسانيَّة أعانى من حالة جنون عقلى ... أم أنا خيالية أَزْيَد من اللازم أنسج قصصًا لا وجود لها ... أم أنا ... أحقًا أنا ... هل أنا ... !

يكاد عقلى يُجنُّ حَقًّا وينفجر مما احتواه ... هل من منقذ غير طبيب المجانين ... !

لا ملجأ إلا إليك يا الله يا حبيبى ... يا عظيم يا الله ارحمنى برحمتك ...

الرابعة فجر يوم السبت ٢٠٠٦/٦/٣

# زوج بيئة

عشتُ وتربيت فى بيت أصول وبيت عز ماديًا واجتماعيًا .. منذ طفولتى أنعم بالعيشة الرغدة .. يحتوينى والدى بالعطف والحنان قبل تلبية مطالبى المادية من إحضار لعب وعرائس فى طفولتى إلى إجابة كل مطالبى المشروعة فى مراحل الصبا والشباب مع الاحتفاظ بحق المُربِّى ... متى أتكلم وفى أى موضوعات أتحدث ومتى أصمت ... لى صديقات معروفات ... كل صديقة منتقاة ... سواء من المدرسة أو الجامعة أو من النادى أو من الأقرباء والجيران ... حرية غير مطلقة مراقبة غير مباشرة ... لا شدة ولا لين ... تربية حديثة أرتدى أحدث أنواع الموضة لكن فى حدود الاحتشام ... أضع أفخم أنواع البرفانات فى أوقات معينة ... أذهب لمجاملة الصديقات تحت أعين أمى .. تعوَّدت وتربيت على المصارحة مع والدتى وحُسْن المناقشة مع والدى، لم أكذب فى حياتى ولم أحاول الكذب ...

تخرجت فى الجامعة وأنا راضية بحياتى وما حققته وباحترام من حولى لى .. لم أخض أية تجربة حب فى مرحلة المراهقة أو

الشباب مثل أكثر الفتيات والفتيان لعدم اقتناعى بالتجربة ونضوج فكرى ... لم يكن لى حبيب حقيقى إلا على الورق أرسمه بالقلم وأتخيله وأحلم معه ... أحلم بزوج المستقبل : شاب عاقل متزن قوى يحتوينى ويسعدنى، وليس فتًى مراهقًا يلعب معى ويلهو ويعبث ثم نفترق ولا يترك لى سوى الندامة والسمعة السيئة؛ من أجل هذا كثر طابور العرسان يطرقون بابنا طالبين الزواج منى ... منهم الطبيب والمهندس والضابط وكلهم يتمتعون بصفات حسنة لكن ... !

- لكن ماذا يا أبى ... ؟
- المستوى المادى لا يليق بنا ...!
- كيف هذا يا أبى ؟ لقد انتهى عصر الطبقات ...
- نعم ... لكنَّ هناك حدودًا لا نستطيع أن نتخطاها ...
- يا أبى، لا تنسَ قول الله عز وجل : {بسم الله الرحمن الرحيم "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة" } ...
- صدق الله العظيم. طبعًا عارف، لكن بجانب المودة والرحمة التقارب المادى والفكرى يا بنتى ...
- دى حقيقة فعلاً يا بابا لكننى لا أحب أن يطول الانتظار ...
- لا تتعجلى فهناك ولاد الأصول وكويسين ...

■ ماذا تقصد بأولاد الأصول ...؟

■ أقصد المستوى المادى والتربوى والتدين ...

■ كل مستوى فيه الحلو والوحش ...

■ ربنا يرزقك بابن الحلال يا بنتى ...

ويأتى ابن الحـــلال ويطرق بابنا، يأتى عن طريق المعـــارف والأصدقاء. شاب من أسرة غنية له فيلا مبنية حديثًا مؤثثة بأفخم أنواع الأثاث والمفروشات معظمه من الخارج ...

شاب يتمتع ببنيان قوى ووجه جميل بشوش وأسلوب متحضر فى المعاملة والتحدث والإتيكيت، خريج الجامعة الأمريكية فى هندسة الكمبيوتر ويعمل ويدير إحدى شركات والده ...

تمر فترة الخطوبة مسرعة ... لأن كل شىء جاهز ولا وقت ولا ضرورة للتأخير ...

تُقام ليلة عرسنا فى أفخم فنادق القاهرة ثم نذهب لفيلتنا التى يعجز القلم عن وصفها ... تزينت بعد أخذ حمام سريع وتعطرت بأجمل وأذكى العطور العالمية والتى أقتنيها وتعودت عليها، وما إن اقترب زوجى منى إلا وقام مسرعًا من جوارى وتحجج بكثير من الأعذار ... كلها أعذار واهية لا داعى لسردها ... ورضيت بحالى وأنقذنى النوم من كثير من المشاكل ...

وتكرر ذلك طوال شهر العسل، مع أننى كنت أرتدى له فى كل ليلة غير التى سبقتها وبعطر غير الذى تعطرت به بالأمس ليسيل لعاب أشد الرجال صلابة، لكن للأسف لقد جف لعاب زوجى ...

لم أبح بأى شىء لأسرتى ولا لصديقاتى بما يحدث لأنها أسرار زوجية، ولعل الله يصلح حالنا ...

لكن أثر ذلك على صحتى العامة وذبل وجهى الجميل وأحس جميع من حولى بذلك ، وبررت أمى ذلك بأنها علامات الحمل ... كيف ذلك يا أمى وأنا ما زلت عذراء ...!

يا أسفاه على حظى التعيس ...! قرأت الكثير والكثير عن هذه المشاكل وهذه الموضوعات الجنسية وبلانى الله بحالة تطبيقية واقعية ... لا حول ولا قوة إلا بالله ... ماذا أفعل ... أأترك زوجى ...؟ سيُقال العيب فىَّ أنا، وكيف الهروب من الفضيحة ؟ لا بد أن أجد حلاً لهذه المشكلة من خلال ثقافتى وقراءتى المتعددة فى هذه المواضيع .. طلبت من زوجى أن يذهب إلى طبيب صديق له، فثار علىَّ وقال إنه مش مريض «وصحتى زى الحديد بس اصبرى» ...

وأشرت عليه أن يسمح لى بالذهاب إلى ڤيلتنا فى الساحل الشمالى بصحبة أبى وأمى لقضاء عدة أيام؛ حتى أنسى وأتكيف مع وضعى الجديد ... وذهبت ولم أستطع المكوث إلا يومًا واحدًا

وعدت إلى فيلة زوجى بسيارتى دون إخبار زوجى؛ لأجعلها مفاجأة قد تحدث له شيئًا ويفيض الله عليه ويرحمنى مما أنا فيه ...

وجدت سيارة زوجى فى جراج الڤيلا حمدت الله على ذلك وتلصصت فى الدخول إلى الڤيلا من الباب الخلفى، حتى يُفاجأ بى زوجى أمامه ...

وكانت المفاجأة لى أن زوجى فى أحضان الخادمة على أرضية المطبخ وهو شبه عارى الجسد والبنت بجلبابها الرث القديم المبقع يعلو وجهها وشعرها الأتربة والغبار ... تفوح منها روائح كريهة مختلطة ومنفِّرة ...

وقفت أمامهما فى حالة من الذهول يكاد يُغشى، علىَّ جرى زوجى ناحية الحمام ... والبنت ما زالت تلملم فى جلبابها وقميصها الممزق يفوح منها رائحة العرق النفاذة رائحة لا تُطاق ... كيف ذلك ... !

ذهبت إلى غرفة نومى وأنا أكاد أجر قدمىَّ، وجلست على أحد المقاعد ونعيت حظى فى هذا الزوج الخائن ... ماذا أفعل يا ربى أطلب الطلاق بهدوء ويحدث ما يحدث ...؟

أفضحه هو قبل أن يفضحنى ... أحكى لأسرتى وأسرته ما حدث ... يا ربى أرشدنى لأطفئ نار ما حدث. ووقفت بين يدَى الله أبكى وأتضرع إليه أن ينقذنى من هذا الزوج الزانى الخائن

ويرشدنى إلى الطريق السديد؛ حتى لا أسبب لأهلى مشكلة بالطلاق ...

دخل زوجى غرفتى فوجدنى أصلى فأخذ بعض ملابسه فى إحدى حقائبه وخرج من الڤيلا ، وتبعته البنت الشغالة، وبعد أن انتهيت من صلاتى هدانى الله إلى أفكار بناءة للحفاظ على بيتى ...

إن زوجى مريض لكن ما نوع مرضه لا أعرف ! كيف يترك زوجته حلاله الجميلة والأكثر أناقة والتى تفوح منها روائح العطر المتنوعة ويرتكب جريمة الزنا مع من مع إنسانة أستغفر الله العظيم لا جمال ولا جسم ولا رائحة ... لا بد أن هناك سببًا لا بد من المواجهة ... وانتظرت عودة زوجى ... لم يعد فى هذه الليلة وقضيت هذه الليلة وحيدة أصلى وأقرأ القرآن وأدعو الله له بالهداية والشفاء مما أصابه ...

وتتصل بى أمى وتستشف من حديثى معها أن هناك شيئا يقلقنى ولأول مرة أكذب على أمى بأننى والحمد لله كويسة. وسألتنى عن حمدى زوجى فقلت لها إنه مسافر يومين لإنهاء بعض الأعمال ...

وجلست أفكر فى كيفية علاج زوجى والحفاظ على بيتى ... أعلم من خلال ثقافتى الجنسية وقراءاتى المتعددة فى الطب أن

زوجى ليس مريضًا جسديًا، أى غير مصاب بالعنَّة. إن زوجى سليم ودليل ذلك الخيانة الزوجية لكن خاننى مع من ! ... هنا المشكلة ولماذا مع الخادمة ...؟! بالتأكيد ليست هذه هى المرة الأولى لزوجى مع هذه الشغالة، لكنه اعتاد الممارسة مع مثل هؤلاء الساقطات! إنه كان يفضل إقامة علاقات غير شرعية مع أية خادمة تأتى إليهم لتنظيف البيت؛ فارتبطت العلاقة الجنسية الجسدية والنفسية فى مخيلته بتلك الروائح الكريهة التى كانت تفوح من أية خادمة بعد تنظيف البيت ، وأصبح لا يفكر فى الجماع إلا مع هذه الأشكال القبيحة ...

لكن كيف وصل زوجى لهذه الحالة المرضية ... ؟ لا بد أن هناك أسبابًا فى الصغر أدت إلى ذلك ... بإذن الله سعرفها ونحطم هذه الأسباب ... لقد عرفت الآن طبيعة مرضك يا زوجى الخائن وأنا عندى العلاج الشافى بإذن الله ... لكن أين أنت يا زوجى الخائن؟ عد إلى بيتك ولا تخف. يتصل بى بالتليفون أرفع السماعة لا يستطيع محادثتى، أقول له ارجع لبيتك وكفاية فضايح ...

يعود زوجى منكَّس الرأس خجلان من فعلته، قابلته بفتور وطلبت منه الجلوس للتحدث والمصارحة مهما كانت مؤلمة ...

- أنت مريض يا حمدى ...؟
- فعلاً أنا مريض وخايب وخائن ووحش وكل العبَر فيَّه بس سامحينى ومش هتحصل تانى .

■ حمدى بلاش الكلام اللى مش هيجيب همه ... أنت أخطأت فى صباك ؟

■ أيوه أخطأت ...

■ مع مين أول مرة ...؟

■ إنتى عارفة ...

■ مع شغالة قذرة ... !

■ أيوه والله ...

■ متحلفش ... حصل غصب عنك ... مش مهم

■ إزاى حصل ...؟

■ إزاى ... إزاى ...؟

■ يعنى إحكيلى إزاى حصل اللقاء أول مرة ...

■ كلام ميتحكيش ...

■ ليه بنت شغالة ومش بنت صديقتك أو زميلتك ؟

■ جذبنى للبنت الشغالة شكلها وريحتها ...

■ مع احترامى لمامتك، أنت اتربيت فى حضن ماما ولا مربية ...؟

■ للأسف فى حضن مربية ...

■ فهمت دلوقتى ... وبعد كده حبيت هذه الممارسة ...

■ أيوه ...

■ وتكررت هذه الممارسات ...

■ أيوه كثيرة قوى ...

■ بقيت تدوَّر عليهم وتجيبهم الشقة ...

■ أيوه ...

■ طب إجوزتنى ليه ...؟

■ عشان بحبك ...

■ سيبك من الكلام الفاضى ده ... جاوب بصراحة ...

■ والله العظيم ...

■ قلتلك ما تحلفش ...

■ قصدى سُنَّة الحياة ونخلف صبيان وبنات ...

■ هتخلف إزاى وأنت مجتش ناحيتى ...!

■ الله ... ما أنت عرفتى السبب ...

■ طب إجوزتنى ليه ...!

■ تانى بتقولى نفس السؤال ...

■ قصدى ليه ما جوزتش واحدة بيئة تحقق مطالبك؟

■ إزاى بس والمجتمع ... والناس وبابا وماما .

■ مش حرام عليك تعذبنى معاك ...

■ أنا آسف غصب عنى ...

■ ودلوقتى ناوى تعمل أيه هتستمر على كده ...؟

■ لا والله العظيم خلاص تُبت على أيدك ...

■ يا سيدى متحلفش بالله ... بطل حلفان بالله ...

■ أنا آسف وأنتى ناوية على أيه هتسيبينى ...؟

■ مفروض أسيبك ...

■ ليه ما أنتى عرفت السبب ...

■ عشان كده مش هسيبك وهحاول أعالجك ...

■ ربنا يخليكى ... طب إزاى ...!

■ ملكش دعوة بإزاى دى ...

■ طب لو فشلت فى علاجى ...

■ هطلب الطلاق بكل هدوء ...

■ مطالبك أيه ... اطلبى أى طلب هنفذه ...

■ طلب واحد ...

■ أنتى تؤمرى ...

■ متدخَّلش أى شغالة البيت ده طول ماحنا عايشين مع بعض ...

■ موافق طبعًا ... خلاص تبت ...

■ أنا هكون ست البيت من كله ...

■ ربنا يخليكى ليَّه يا حبيبتى أنا متشكر قوى ...

■ متقلش حبيبتى دلوقتى ... يمكن تقدر تقولها بعدين ... بس مش عاوزه حد يعرف أى شىء بيننا ...

■ لا والله ما هقول أى ...

■ برضه بتحلف ... وفيه حاجة تانية يا حمدى.

■ أنا تحت أمرك يا حبيبتى ...

■ ولا تجيب مربية لأولادنا كفاية اللى حصل لأبوهم ...

■ حتى المربية ...

■ بإذن الله هربِّى أولادى فى حضنى وهمتعهم بالرضاعة الطبيعية ...

■ أنت جبتى نقطة مهمة قوى هيَّه سبب مشاكلى كلها ...

■ أيه هيَّه ؟ صارحنى يا حمدى ...

■ نقطة الرضاعة وحضن الأمومة ...

■ إزاى يا حمدى ...!

■ أنت عارفة ماما سيدة مجتمع وعملها الاجتماعى وتدريسها فى الجامعة وحاجات كثيرة ما كنتش فاضية لتربيتى ...

■ كمِّل يا حمدى ...

■ أرجوكى مش قادر أكلِّم مش عاوز أفتكر ...

■ لا أرجوك يا حمدى كمل ... ما هو ده العلاج ... حصل حاجة مع المربية ...

■ لا مخك راح لبعيد ...

■ لا ، أنا فاهمة كويس عاوزاك تكمل بس ... هيكون أيه دانتا طفل بترضع ...

■ كانت المربية ديمًا ليها ريحة معينة مميزة طبعًا منفِّرة لأى فرد عادى، لكننى ارتبطت بهذه الرائحة عندما كنت أجد متعتى بالرضاعة وتأخذنى فى حضنها حتى أنام ... أقصد الحضن البديل ... مع أن أمى عايشة!

■ المهم، كويس قوى ... أيه إللى حصل بعد كده؟

■ فاكر بعض الحركات كانت بتعملها معايه المربية لما كبرت شويه؛ خاصة وهيه بتحمِّينى.

■ زى أيه ...؟

■ ما أقدرش أحكى ... أنت فاهمة ...

■ ماشى كمّل كلامك ...

■ لما وصلت لمرحلة البلوغ فضلت هذه الرائحة مرتبطة بإشباع الفريزة الجنسية وارتباطى برائحة المرببة، انجذبت ليها ولأمثالها كبار وصغار لممارسة الرذيلة خلف الأبواب المغلقة على أرضية المطبخ وفى غرفة المرببة وغرفة الشغالات بعد كده ...

■ كمّل يا حمدى ...

■ أكمل أيه تانى ...!

■ عشت إزاى وأنت ابن ناس أغنيا وتدرس فى الجامعة الأمريكية ومعاك بنات حلوه فى كل حاجة ...

■ كنت بتجنّبهم؛ حتى البرفانات التى كنت أقتنيها كانت ذات رائحة غريبة قريبة من روائح الشغالات ...

■ وفين بابا وماما من كل ده ...؟

■ كل واحد فى موال : بابا فى أعماله وماما فى مشاغلها ...

■ ياه يا حمدى أنت ضحية ماما ...!

■ شفتى أنا مظلوم إزاى ...

■ لا يا حمدى ... أنت برضه السبب ...

■ إزاى ...؟

■ محفظتش على نفسك ... المهم دلوقتى ... استغفر ربنا وتوب ... وقوم اتوضأ وصلّى.

■ إزاى ...؟!

■ يا نهار أسود حتى الوضوء والصلاة متعرفش

■ هكذب عليك ...

■ قوم تعالى معايه أعلمك وربنا يعطينى الصبر.

ويقوم زوجى ويصلى لأول مرة فى حياته، وحمدت الله على هذه الخطوة المهمة ...

وفى اليوم التالى ذهب زوجى إلى عمله كالمعتاد وقمت بتنظيف المنزل وإعداد الطعام بنفسى كما علمتنى أمى ... ويصل زوجى فيجدنى ما زلت بزى المطبخ ورائحة البصل والثوم تفوح منى ... وأنا متعمدة ذلك ...

■ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

■ وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ... أهلا يا حمدى ... ثوانى وآخذ حمام سريع وبعدين نتغدى ...

■ لا حمَّام أيه تعالى بس ... تعالى ...

■ آجى فين بس يا حمدى ...!

■ تعالى فى حضنى ... تعالى ... ويخلع ملابسه ويرميها على الأرض .. تعالى ...

■ مش كده يا حمدى إستنى بس أجهز نفسى ...

■ أنت كده كويسه قوى ...

ويأخذنى حمدى بقوة الرجال الأقوياء وأنا أتبعه، وأصطنع التمنع ويقاسمنى الفراش لأول مرة، ويتحول إلى فارس هُمَام تجمعت فيه قوة الرجال كلهم. وينتهى بعد أن أسعدنى كثيرًا ويتكرر اللقاء شبه يومى على هذا الشكل ... !

لكن أين الفتاة الجميلة الرقيقة التى يفوح منها رائحة العطر الأوروبى والعربى الأصيل ...؟ لقد تبدلت بفتاة يفوح منها رائحة الأتربة ورائحة البصل وأدخنة الطهى ... لا بد من إيجاد حل لهذه الممارسة، لكن كيف ... !

وعرضت على زوجى العزيز أن نسافر إلى مدينة شرم الشيخ لنقضى شهر عسل حقيقى وليس مزيفًا، وكفى ما ضاع. قال لى ...

■ أنا تحت أمرك يا حبيبتى ...

■ فعلاً دلوقتى حبيبتك وأنت حبيبى ...

■ بس أنت عارفة ...

■ متكملش يا حمدى أنا عرفت علاجك ...

■ إزاى ...؟

■ أنت كويس قوى يا حمدى وراجل قوى جدًا مميز ... الحمد لله أنت سليم مفيش أى مشكلة .

■ فعلاً أنا حاسس أنى تغيرت على الأقل شوية .

■ الحمد لله خطوة خطوة هتبقى زى الفل وأنت فعلاً زى الفل ...

■ أنتى اللى زى الفل ربنا يخليكى ليَّه يا حبيبتى ..!

وذهبنا إلى مدينة شرم الشيخ وقضينا فيها أحلى أيام عمرى.. غيرت نوع البرفان وأحيانًا أخرى بدون حسب مزاج زوجى حتى تغلبت على هذه المشكلة ... وقضينا أحلى أيام عمرى وأصبح زوجى رجلاً تتمناه أية زوجة تحلم بفارس مغوار يشبع غريزتها ...

وعدنا إلى عشنا إلى بيتنا إلى فيلتنا التى تغيرت تمامًا، وتبدَّل الصمت القاتل الذى كان يغلف جدران الفيلا إلى صرخات وضحكات وآهات بينى وبين حمدى، وتحول الحزن الدفين الذى لازمنى عدة شهور من زواجنا إلى سعادة زوجية أخاف أن أُحسد عليها والمحروم منها الكثير والكثير ...

ويواظب زوجى على إقامة الصلاة فى أوقاتها وامتلأ البيت

سعادة معلنًا فرحته وسعادته فى انتظار صبيان وبنات لتكتمل سعادة الأسرة الكبيرة كلها أبى وأمى وكل من حولنا ... أكاد أؤكد أن المولود الأول يتحرك فى أحشائى معلنًا قرب مجيئه ...

وفرح كل من حولنا وأحسَّت أمى بسعادتى، وعدت من جديد الفتاة الجميلة المرحة المتزنة المحبة لزوجها الحبوبة ... وضاع شحوب الوجه الذى لازمنى فترة طويلة، وأصبحت أرتدى أجمل الثياب وأضع أفخم البرفانات وتحوَّل مزاج زوجى من مزاج بيئى فظيع إلى مزاج أولاد الناس المحترمين ...

فهو ينتمى إلى أسرة عريقة معروف عن رجالها وشبابها الاهتمام بأناقة الملبس والرائحة العطرة الذكية المحببة للنفس ...

لقد عاد زوجى إلى أصدقائه القدامى المحبين له وزاد نشاطه فى العمل ...

لقد تغير زوجى من النقيض إلى النقيض دون أن يشعر بمرضه أى فرد من أفراد العائلة ... وذلك بتوفيق من الله وعونه وحسن تربيتى وثقافتى وتعليمى ... لكن كان خطؤه بسبب من ... أمه ... أم أبوه ... أم المجتمع ... أم هو ... مَن السبب ... مَنْ ... مَنْ ... !

٢٠٠٥/٣/٩

# صبـــر أيـــوب

نشأتُ فى أسرة ثريَّة ماديًّا فقيرة اجتماعيًّا لحد كبير قد حبا الله أسرتنا بالمال الوفير والصحة الجيدة ...

وتبـدل الحـال من شكر نعـمـة الله إلى نكران ذلك والتكبـر والتعالى على الناس الغلابة ... مال وصحة وجبروت وتفاخر بين الناس ... !

عشنا منعزلين عن الناس كأننا نوع خاص من البشر، نحن أولاد أصول والباقى رعاة خلقهم الله لخدمتنا. أحسستها فى طفولتى المبكرة عندما كنت أُمنع من اللعب مع أولاد الشغالين فى منزلنا أو أولاد الجيران وكانت أمى تنهرنى وتحذرنى بعدم اللعب مع هؤلاء ، رأيت جبروت أبى وقسوته عندما كنت أذهب للمكتب الملحق بالڤيلا أمكث معه يلاعبنى بلطف وحنية ينقلب إلى رجل آخر صورة أخرى أبى يتلفظ بألفاظ لأول مرة أسمعها، ينهر بعض العاملين عنده ويضربهم بالكرباج دون ذنب ارتكبوه سوى التزاحم فى طابور ليأخذوا رواتبهم ، يأخذون أجورهم فى نهاية كل أسبوع ...

لماذا يا أبى ونحن عندنا الخير الكثير والكثير وهؤلاء أُجراء أدوا أعمالهم ويريدون حقهم وواجب عليك يا أبى أن تعطيهم أجورهم قبل أن يجف عرقهم ..! لقد تغيرت صورة أبى عندما رأيته يفعل ذلك مع العمال. وأمى لم تكن بأحسن صورة من أبى، فهى الأخرى أصابها الغرور والتعالى على الناس والشخط والنطر مع الشغالات والخدم فى المنزل ولا تجامل أحدًا من الأهل والجيران، وكأنها ملكه متوجة فى جزيرة تملكها ملئت بالخدم والحشم .. الكل فى خدمتها فقط ...

وتمر الأيام وأدخل مرحلة الصبا والشباب دون أصدقاء أحبهم ويحبوننى أتحدث إليهم ويتحدثون إلىَّ؛ حتى أقرباؤنا كانت علاقتنا بهم شبه مقصورة على المناسبات دون غيرها ...

إخوتى الأكبر منهم من تزوج والباقى مشغول بدراسته الجامعية وأنا أصغرهم سنًا ... ماذا أفعل ؟ أصبحت أكره لُعَبى التى ألعب بها لقد مللتها واشتقت أن ألعب بلعب الفقراء - أقصد أولاد الفقراء - عندما كنت أشاهدهم، وأن أسير فى الشارع وهم يلعبون بألعاب من صناعة أيديهم أشياء بسيطة تسعدهم ... أتمنى أن أكون مكانهم ... بكل ظروفهم الاجتماعية ... يا للعجب العجاب ... !

تموت أمى فجأة يتبعها أبى بعد عدة شهور وتتغير الأحوال تمامًا عندما يتكالب الأخوات على الميراث تُوزَّع التركة وتُقسَّم

الأنصبة ويتخاصم الإخوة ويتنافسون .. الخير كثير لكنهم ورثوا طباع أبيهم وأمهم لماذا هذا التناحر وكأننا لم نولد من أم واحدة وأب واحد ، أخواتى تزوجن إلا أنا وأخى الأصغر فى الصبيان ويستعد للدخول خلال أشهر قادمة ...

أمكث فى ڤيلا أبى وأمى والتى أصبحت من نصيبى علاوة على الأرض وأموال فى البنوك ... الخير كثير والحمد لله .. لم يتركنى أخى الأصغر على عكس باقى أخواتى وتزوج معى فى الڤيلا وأغلق شقته المجهزة على أحدث طراز، ڤيلا داخل عمارة بناها أبى فى ضواحى مصر الجديدة لأبنائه فقط للسكنى ڤيلاً منسقة بشكل هندسى ... زوجة أخى أُقاربُها فى السن كانت الوحيدة التى تؤنس وحدتى هى وأقرباؤها عند زيارتها ... أحببتها وأحبتنى كأخت لها ... أما باقى الأخوات فكن يأتين لزيارتى من وقت لآخر للاطمئنان علىَّ أو من خلال التليفون .. وتمنيت لو تمرُّ الأيام مسرعة حتى أنهى دراستى الجامعية ويرزقنى الله بابن الحلال؛ لأبدأ معه حياة زوجية سعيدة مثل أخواتى ...

ويأتى من يخطبنى، مهندس شاب يعمل فى الخارج فرحت به، شاب مثقف بشوش جميل الطلعة ... لكن أنا ما زلت فى الصف الثالث الجامعى، إنه متعجل زواجنا لأسافر معه وفى قرارة نفسى أنا متعجلة أكثر منه لينقذنى من الوحدة المستقبلية ... تمت

الخطبة فى جو عائلى بسيط وتأجيل الحفلة الكبرى إلى الإجازة الصيفية ...

ويعود خطيبى إلى عمله فى الخارج على وعد أن يتم الزواج عند عودته فى الإجازة الصيفية وأكون أنا قد أنهيتُ امتحاناتى الجامعية، وسوف أسافر معه كزوجة ثم أعود فى العام القادم لأنهى مرحلتى الجامعية ...

أحلام نسجتُها وعشتُها فى خيالى وأصبح سلواى هو الاتصال بخطيبى وتبادل الرسائل بيننا ...

ولم تدم السعادة إلا أقل القليل وكأن السعادة عزت على أن تحتوينى، كان قدرى المحتوم ينتظرنى ...

أذهب لزيارة أختى للاحتفال بعيد ميلاد أحد أبنائها وأقضى معهم سهرة صباحية نتحدث طوال الليل أنا وأختى وأولادها عن ذكريات الماضى بحلوه ومره ، ولم نذق طعم النوم حتى أذان الفجر ...

وفى اليوم التالى وعند خروجى من الشقة ونزولى على سلم العمارة فى تعجُّل دون انتظار الأسانسير ... تنزلق قدماى وأقع عدة وقعات على ظهرى وأصرخ من شدة الوقعة حتى يُغشى علىَّ ولم أدر بما حدث لى إلا وأنا طريحة الفراش بالمستشفى وبجوارى إخوتى يبكون ...

ماذا حدث لى ؟ يطمئنوننى أنت بخير ... لماذا تبكون ! عملية صغيرة فى العمود الفقرى وهتبقى زى الفل عملية أيه وعمود فقرى أيه أنا انشلّيت ...؟ قولولى ... ليه؟ أيه اللى حصل ...؟ مش ممكن ... مش ممكن ...!

ولم تنجح محاولات الأطباء فى شفائى ويتصل خطيبى من الخارج ليطمئنَّ علىَّ، أبكى على حالى وأرفض تكملة الحديث معه ومكثت داخل المستشفيات عدة شهور أتنقل من أجل طلب الشفاء وجاء خطيبى من الخارج وداوم على المكوث بجوارى بالمستشفى على أمل الشفاء ... دون استجابة ربانية ...

زادت حالتى النفسية سوءًا وأصبحت حالتى العصبية لا تُطاق لدرجة أننى رفضت زيارة أى من أقربائى أو مقابلة خطيبى ... وطلبت منه أن يتركنى لحالى أعانى ما أعانيه من عذاب وشقاء لوحدى : وأنت شاب تتمناك أيـــة فتاة وأنت لا ذنب لك فى انتظارى... يرفض ثم يرضخ للأمـــر الواقع تحت ضـغط الأهل والأصدقاء ورأى الأطباء ...

أسافر إلى الخارج للعلاج، فأنا أملك من المال ما أستطيع به أن أعالج نفسى، أمكث هناك عدة شهور ... لكنها إرادة الله ... أعود على كرسى متحرك تدفعنى أختى أمامها أين شبابى وقوتى؟ أرى فى عيون كل من يرانى العطف والتحسر علىَّ، أأظل هكذا طوال حياتى ؟! يا الله يا رحيم، أنقذنى مما أنا فيه. أعود إلى

الفيلا إلى بيتى ... إلى بيتنا حيث ذكريات الطفولة والصبا والشباب تنتابنى حالة من الاكتئاب، أتعصب على من يخدموننى فى الفيلا ثم أعتذر لهم وهم مُقدِّرون حالتى النفسية ...

يعود أخى وزوجته إلى الفيلا ويتركون شقتهم عش الزوجية التى يقضون فيها أيامًا قليلة ...

بدأت أكيِّف نفسى وبظروفى الصحية التى فُرضت علىَّ وأنا من أنا شابة فى مقتبل عمرها نسجت الكثير والكثير من الأحلام، ثم انقطعت هذه الخيوط بصورة مفزعة معلنة ألاَّ عودة وتمر الأيام والشهور والسنون ثقيلة ... أصبح حملها ثقيلاً ... ماذا أفعل يا ربى وأنا طريحة الفراش ... أتحرك داخل الفيلا بكرسى متحرك أذهب إلى الجنينة بعض الوقت ثم أعود إلى السرير سجنى الصغير أصبحت الفيلا سجنًا كبيرًا أتحرك داخله وسريرى السجن الأصغر أتقلب عليه يمينًا ويسارًا ، وحجرتى المليئة بكل شىء مريح وأنا لا أستمتع به ...

أرى صديقاتى وأولاد جيرانى الأصغر منى سِنًّا ومن يماثلنى فى العمر والأقل منى فى كل ما حبانى به الله من نعم عديدة لكن إرادته لا رادَّ لإرادته يتزوجون ويسعدون مع أزواجهم ويرزقهم الله بالولد والبنت ويحدث بينهم المشاكل المعتادة ثم يتصالحون ويستمتعون باللقاء بعد الخصام ...

أرى إخوتى سعداء كلٌّ فى أسرته وماذا سيفعلون من أجلى ..؟!

مر أكثر من عشرين عامًا على حالتى دون جدوى، حفظت القرآن الكريم كله وأصلى وأنا جالسة على الكرسى وأحيانًا وأنا نائمة، وأُكثِر من الصدقات والتبرعات فى السر والعلن لعل الله يستجيب دعائى ولا أملك سوى الصبر ومتى صبر الإنسان هانت عليه مصائبه ...

إن نبى الله أيوب عليه السلام صبر لكن ألم الضر جعله يدعو ربه أن يكشف عنه ضره ... يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ صدق الله العظيم ...

كان يشتكى من الضر وقلة الأهل فلم يكن له عزوة، فلما استجاب الله دعوته أعطى له إجابة دعائه وزاده أشياء لم يطلبها فى دعائه ...

وأنا يا الله يا عظيم يا سامع دعائى استجب دعائى واشفنى كما شفيت أيوب، فإن صبرى قد فاق صبر أيوب بكثير ! وسبحانك أعلم بى من نفسى ...

هل يستجيب الله دعائى ... وهل أستطيع أنى أمشى بعد هذه المدة الطويلة وهل ... وهل ....

ادعوا لى بالشفاء فإن الله قادر على كل شىء ...

الثالثة فجر يوم ٢٠٠٥/٩/٢

# صديقتى ماما

أنا من أنا ... بنت مراهقة بلا خبرة ولا معرفة صحيحة ببواطن الأمور ، نقلد الغرب تقليداً أعمى نحن لنا عالمنا الخاص ... وهو عالم ملىء بالإثارة والفانتازيا ...

لقد مللت الحياة النمطية والتكرارية الموجودة فى الجيل بل الأجيال السابقة : تيتة وماما وطنط لا بد من التغيير ... لا بد من الابتكار والتجديد أين أجده ... لست أدرى ... أين أجد ضالتى ... لقد وجدتها فى الكمبيوتر عند صديقاتى وأصبح وجودى عند صديقاتى لمدد متقاربة ومكوثى لفترات طويلة ... أختلق الأسباب... مرة درس خصوصى ... مرة بذاكر ... مرة عيد ميلاد... حتى امتلكت هذا الجهاز الخطير داخل منزلى بل داخل حجرتى وفرحت به؛ لأنه سيخفف من معاناتى بإيجاد حلول شافية للكثير والكثير من الأسئلة التى تدور فى ذهنى ...

عندما يدخل علىَّ أبى حجرتى قبل ذهابه إلى العيادة يجدنى آخذ من الجهاز كل ما هو مفيد لى، تجلس أمى بجوارى لحظات

قليلة خاطفة قبل ذهابها لعيادتها أيضًا ندخل على النت لنأخذ كل ما هو جديد فى جميع مجالات العلم والأدب ...

أبى وأمى طبيبان ناجحان ويتمنيان لى أن أكون مثلهما طبيبة ناجحة فأنا أملهم الوحيد بعد أن دخل أخى الوحيد الكلية الفنية العسكرية التى أَحبَّها وأَحبَّ دراستها ...

لقد أدمنت الجلوس أمام شاشة الكمبيوتر لساعات طويلة خاصة بعد أن ينام كل من فى البيت أو خلال وجودهم خارج المنزل خاصة بعد أن تعلمت من صديقاتى شيئًا سحريًا وهو الشات، أحادث بعض الفتيات وبعض الأولاد على استحياء حتى أدمنت الحديث مع الأولاد دون الفتيات، بل زاد الطين بَلَّةً أننى دخلت على عدة مواقع إباحية لأول مرة أرى أجسادًا عاريات ... وماذا بعد ذلك ...؟!

لقد أحست أمى أن هناك تغييرًا فى سلوكى فى شكلى لكنها لم تعلق إلا بكلمات قليلة المعتادة ... ! الله يكون فى عونها الصبح التدريس بالكلية والمستشفى وآخر النهار العيادة ... حتى تعود إلى المنزل منهكة ... تحاول الجلوس معى لمتابعة أخبارى الدراسية والحفاظ على تفوقى أو قضاء بعض الوقت بالمطبخ لتجهيز طعام الغد ... وأكثر الأحيان تتأخر أمى بالعيادة فتحدثنى من خلال التليفون ... وأبى هكذا ... وأخى فى كليته ... وأنا مع صديقى الوحيد الكمبيوتر ...

لقد تعرَّفت إلى شاب من خلال شاشة النت من خلال حجرات الشات وأدمنا الحديث شبه يومى، مجرد أن أجد إنسانًا أتحدث معه... بعد أن أنهى مذاكرتى ألجأ لشوية فرفشة معاه ... كلام فى أى كلام أهو تضييع وقت أو إشباع عدة رغبات ، وطلب منى هذا الشاب عدة مطالب أفظعها أنه عاوز يشفنى من خلال الكاميرا وأن يرى أشياء بعينها فرفضت ، وحاول معى أكثر من مرة لكنه فشل فطلب منى أن نتقابل على الطبيعة، رفضت فى أول الأمر لكن الشيطان كان يغوينى ويسيطر علىَّ بفكرة معايشة التجربة مثل باقى الفتيات والأولاد أيه المانع ...!

وحدد الميعاد فى شقة يملكها والد هذا الشاب فى إحدى المدن الجديدة وأنها مجهزة بكل شىء مما نشاهده فى الأفلام ... وقادنى شيطانى فى هذه الليلة التى تسبق هذا الميعاد للدخول على النت لمشاهدة أحد الأفلام حتى أحرص على الميعاد أمام هذه الإغراءات والإثارة ونزواتها ...

وما إن دخلت على الموقع واندمجت داخل أحداثه وسرح ذهنى ونسج أشياء وأشياء ... تدخل أمى الحجرة ولم أحس بها ... ليقينى أنها نائمة ... وقفت أمى ورائى فى ذهول حتى أحسستُ بها، ارتبكتُ من هول المفاجأة وجف ريقى وتلعثم الكلام فى فمى وأغلقت الجهاز مسرعة ...

■ بقا دى الحرية يا سلوى ... فيلم فاضح يا بنتى ...!

■ أنا آسفة يا ماما ...

■ آسفة بكل بساطة كده ... حرام عليكى يا شيخه ... والله لولا الساعة خمسة الفجر كنت قتلتك من الضرب يعنى أكسره دلوقتى ...

■ اضربى يا ماما ... اكسريه ... ليكى حق ...

■ مش عاوزه فضايح ... وأبوكى نايم والجيران ..

■ يا ماما غصب عنى ...

■ غصب عنك ليه يا حبيبتى ... برضه ده كلام !

■ حضرتك فين يا ماما ...؟

■ موجودة ...

■ موجودة فين يا ماما ... بقعد بالساعات لوحدى فى الشقة مفيش حد أتكلم معاه وممنوع تخرجى ..وممنوع مش عارف أيه ...

■ ومذاكرتك يا بنتى ... أحنا بنوفرلك الجو المناسب للمذاكرة وأنا فى شغلى وباباكى فى شغله ... عشان مستقبلك أنتى وأخوكى...

■ مستقبل أيه يا ماما ... أنا مش عايشه يا ماما ... !

■ إزاى يا سلوى ... كل ده ومش عايشه ...

■ مش لاقية حد أحكيله ... أتكلم معاه ... أفضفض معاه ...

■ واللى أنتى عملتيه ده صح ... !

■ أنا قلت أعمل زى ما زمايلى بيعملوا ...

■ وزمايلك دول صح ...!

■ يا ماما أنا معرفش أنا قلت أجرب حجرات الشات من خلال شاشة النت ...

■ أيه يا ختى الشات ده كمان ...؟

■ مفيش حاجة يا ماما بنكلّم مع بعض شوية ...

■ مع مين ...؟

■ مع شباب فى سنى ليهم أفكار تناسبنى ... بنكلم بدون حرج فى مواضيع مهمة دون رقابة من أحد وكنت بلاقى حرية كثيرة من خلال هذه الحجرات ...

■ الله يخرب بيت الكمبيوتر والنت والشات ... أنا هشيله خالص ... أنا هكسره أحسن ...

■ وتفتكرى حضرتك هو ده الحل ...!

■ أمّال أيه الحل يا فيلسوفة ...؟

■ معرفش يا ماما ...

■ يا بنتى الكمبيوتر شىء مهم والنت والتكنولوچيا الحديثة لكن يجب أن نختار منها ما يـلائم مجتمعنا ... ونرفض الأشياء الأخرى ...

■ إزاى يا ماما ...؟

■ يا حبيبتى أنت مش صغيـرة دلوقتى ولازم تعرفى كل حاجة طبعًا بس مش بالطريقة دى حتى أنا لو شيلت الكمبيوتر هتروحى تتفرجى عند صديقاتك ... مفيش فايدة ...

■ أمال أيه الطريقة الصح يا أمى ... أرشدينى علِّمينى ...

■ يا بنتى تعالى نتكلم بتعقُّل شويه ...

■ اتفضلى يا ماما ... يا ريت ... أنا سمعاكى كويس ...

■ الغـريزة الجنسيـة شىء طبيـعى خلقـها الله فينا لتـعمـر بنا الأرض عن طريق التناسل ... والغريزة الجنسية تُمارس عن طريق ما أحله الله يا بنتى ...

■ تقصدى أيه حضرتك ...؟

■ قصدى الجواز يا سلوى ...

■ وإمتى الجواز ...؟

■ لما تخلصى تعليمك وربنا يوفقك بعد كده وتجوِّزى ...

■ لسه هستنى لما خلَّص الكلية ... إحنا جيل لَقَا كل حاجة متوفرة أُدَّامه والمغريات كثيرة عاوزة أعيش التجربة ...

■ تجربة أيه يا بنت يا نهارك أسود ...!

■ أسود أيه بس يا ماما أنا قلت أتفرج زى زميلاتى ... مش هيحصل حاجة لما أشوف وهى تجربة ...

■ وشوفتى التجربة وبعدين أدمنتيها ...

■ فعلاً يا ماما ... حضرتك ما عوِّدتنيش على الكذب ... أنا أدمنت النت وحجرات الشات والتحدث مع الأولاد فى أشياء وحشه فى نظر حضرتك ...

■ وأنت راضية يا سلوى علِّى بتعمليه ده ... بنت فى الثانوية العامة ومنتظرة كلية الطب تعمل كده ...!

■ أنا مش راضية يا ماما أنا مخطئة ... أنا مش عارفة ... بس معظم صديقاتى بيعملوا نفس الكلام بل منهم عمل أشياء فاضحة جدًا يا ماما أنا رفضت أعملها ...

■ زى أيه يا بنتى ...؟

■ بيتفقوا مع الأولاد كل بنت وصديقها يصوروا بعض من خلال الكاميرا فى أوضاع مُخلَّة ...

■ يا نهار أسود أوعى تكون أنتى ...

■ لا يا ماما محصلش حاجة من دى أبدًا ... زميلتى سوسن راحت وقابلت صديقها من خلال النت وما زالت بتقابله من ورا أهلها وبتحكيلى على اللى بيحصل بينهم ...

■ بيحصل أيه ...؟

■ بيحصل كل حاجة ... كل حاجة بيعملوها ...

■ يا نهار أسود الطف يا رب ! وأنت يا سلوى عاجبك ده ...!

■ لا يا ماما طبعًا كل ده غلط ... دأنا منساش يوم أول لقاء لسوسن مع حبيبها جت تبكى وفضلت حزينة على ضياع شرفها وبعدين بقت الأمور عادية ...

■ سلوى يا بنتى صارحينى يا حبيبتى، أنت فين من ده كله ...؟

■ أنا زيهم برضه يا ماما ...

■ يا نهار أسود زيهم ... يا خرابى ... أنت هتجننينى ...!

■ يعنى مش زيهم ... زيهم شويه ...

■ احكيلى يا بنتى ...

■ أنا كنت رايحه بكره أقابل واحد زى صديقاتى ...

■ يعنى قابلتى حد قبل كده ...؟

■ لا يا ماما محصلش ... أنا كنت لسه هجرب لأول مرة ...

■ وهتقبليه فين ...؟

■ فى شقته فى مدينة ٦ أكتوبر ...

■ الطف يا رب ... أنت عارفة كان هيحصل أيه ...؟

■ مفكرتش يا ماما ...

■ إزاى يا بنتى، أنا علمتك كده ...؟

■ أنا كنت هخوض التجربة بحلوها ومرها ...

■ دى تجربة حلوها ثوانى معدودة ومرها علقم ملوش علاج ...

■ يا ماما محصلش حاجة ...

■ بس كان هيحصل لولا صحيانى بالصدفة ودخولى عليكى ... يا بنتى أنت ناسيه أنك عايشه فى عالم شرقى له مبادئه وتقاليده ...

■ لا مش ناسية ... كنت عاوزه أتحرر شويه ..

■ من أيه يا بنتى ...!

■ من التربية الأسرية المتشددة والتعليم التلقينى وإيجاد عالم خاص جداً يُشبِع رغباتى وغرائزى ...

■ والحرية أنك تزورى المواقع الجنسية وتعملى علاقات مع

الأولاد فى الخفاء بدل البحث عن المعلومات والمعرفة ... هيَّه دى الحرية يا سلوى ... !

■ وأيه الحل يا ماما ...؟

■ الحل أنت اللى هتقوليه ...

■ أنا مش عارفة يا ماما ... أنا حاسَّه بالضياع.

■ أنت كده وصلت للحل ... اعترافك بالخطأ هو بداية الحل ...

■ أنا آسفة يا ماما ... أنا خلاص مش رايحه بكره أقابل هذا الولد باقتناع ...

■ براڤو عليك يا سلوى ... المهم دلوقتى مذاكرتك وبكره يجيلك ابن الحلال شاب جميل زيك كده ومتعلم كويس ومثقف وأهله ناس كويسين زينا وتجوِّزى ويتعملك فرح كبير فى أكبر فنادق مصر وتقضى شهر العسل فى أعظم الأماكن السياحية فى العالم، وبكره تعرفى أن كل الحاجات دى مش كويسه ومفيش منها فايدة غير الندم ...

■ أنا بكرر أسفى يا ماما ...

■ اوعدينى كل اللى حصل ده ما يتكررش تانى.

■ أوعدك يا ماما ...

■ وبالنسبة لصديقاتك بتوع الكلام الفاضى ده هتعملى أيه معاهم ...؟

■ هخفف علاقاتى معاهم ...

■ يعنى مش هتقطعى علاقتك بيهم ...!

■ إزاى يا ماما أنا بقابلهم فى المدرسة وفى الدرس وفى النادى وعلطول الاتصال بالتليفون فى البيت وعلى المحمول ...

■ حاولى تضيفى ليك صديقات من نوعية تانيه .

■ إزاى يا ماما ...؟

■ أنت فاهمة قصدى كويس يا بنتى والحمد لله أنت ذكية ...

■ ليَّه صديقه اسمها نادية متشددة شوية ...

■ يعنى أيه متشددة ...؟

■ تحسِّى أنها رجعية ونمطية ... بتفكرنى بجدتى!

■ إزاى يا حبيبتى ...؟

■ أولاً محجبة وممنوع تتكلم مع الصبيان ... وملهاش شلَّه فى النادى شويه شويه تشيل فى أيدها سبحة ...

■ وده وحش يا سلوى ... مش عاجبك أنت وزمايلك ...

■ آه فعلاً مش عاجبنا دحنا مسمِّينها الشيخة نادية.

■ عشان محجبة ومؤدبة وبتصلى مش عجباكم..!

■ تقريبًا كده يا ماما ...

■ يعنى أنت وصديقاتك اللى صح يا سلوى ...

■ أيوه يا ماما عايشين حياتنا وهيَّه مش عايشة ...

■ أنت يا حبيبتى ما بتقريش جرائد ومجلات ...

■ ساعات يا ماما ... ليه ...؟

■ آه صحيح ما أنتش فاضية للقراية كفايه عليك الكمبيوتر ...

■ يا ماما خلاص يا ماما ...

■ يا بنتى حصل بلاوى كثيرة لبنات فى سنك من وراء النت وعلاقاته المشبوهة ...

■ إزاى يا ماما ...؟

■ زى ما زمايلك وقعوا فيه وأنت كنتى هتقعى فيه ...

■ اللى ضحك عليها ومكنش بيحبها ...

■ حب أيه يا بنتى أنتم لسه عيال ... علاقات جنسية وممارسات قذرة آخرتها ضيَّع شرفها وشرف أهلها بعد ما هربت معاه ... وبعد فترة مرضيش يعترف بالحمل اللى كان فى بطنها ...

■ حمل أيه يا ماما ...!

■ أيوه يا بنتى ومشاكل ملهاش حل ... ضياع يا بنتى ...

■ طب وإزاى أكون زى الشيخة نادية ...؟

■ بلاش تهكُّم على البنات المؤدبة ...

■ أنا بكلِّم بجد يا ماما ...

■ تويى إلى ربنا وصلِّى ...

■ أصلى إزاى يا ماما ...!

■ تصلى إزاى متعرفيش تصلى ...!

■ لا طبعًا يا ماما أنا عمرى ما شفت حضرتك بتصلى أُدَّامى أبدًا ... أنا آسفة يا ماما أنا شايفة حضرتك اتَّخِتِّى شويه ووش حضرتك أتغير أنا آسفة يا ماما ...

■ لا يا بنتى معاكى حق ... بس أنا شغلى وانشغالى ...

■ لو حضرتك بتعرفى تصلى علمينى وأنا أعمل زيك ...

■ أيوه يا بنتى باعرف أصلى ... كفاية يا سلوى ...

■ أنت بتبكى يا ماما ...

■ أنا فعلاً معرفش حاجة عن الدين الإسلامى غير أقل القليل وثقافتى كلها أجنبية ...

■ كفاية يا سلوى أنا مقصرة معاكى قوى ... غلطتى ... أنا قدوتك مبصلّيش ليكى حق تبقى كده ...

■ يا ماما أنا بحبك قوى وحضرتك أعز صديقة ليَّه ... بس أنا مش لقياكى جنبى خالص ... وجهينى يا ماما أعمل أيه ... أيوه كده يا ماما خدينى فى حضنك ...

■ يا حبيبتى يا سلوى أيه رأيك نقرب من بعض قوى زى زمان وأنت لسه صغيرة وأَخِفّ من الشغل شويه ...؟

■ يا ريت يا ماما ...

■ نبدأ نجيب كتب دينية نتفقه فيها مع بعض نتعلم ديننا سَوَا...

■ ليه يا ماما ماحنا عندنا النت وعليه كل حاجة..

■ النت تانى ...!

■ مفيش مشكلة الموضوع ده خلاص يا ماما صديقتى نادية أو الشيخة نادية بتدخل على النت فى مواقع دينية رائعة كل حاجة عاوزه تعرفيها ...

■ ماشى يا ست سلوى ... أنت عارفة يا سلوى ربنا سبحانه وتعالى أراد لينا الخير بدخولى عليكى دلوقتى ... أنا كنت بعيدة عن ربنا كل حاجة الشغل الشغل كله الدنيا وناسيه الآخرة خالص ...

■ تصدقى يا ماما أنا مش قادره أقول الحمد لله ... أنا حاسة أنى كنت بعيدة عن ربنا أكثر منك يا ماما وحضرتك السبب أنت وبابا أخوى محمد شاب مثقف ومتعلم كويس ومؤدب لكنه مبيصليش ميعرفش يصلى أنتم السبب يا ماما أنتى وبابا ...

■ سامحينى يا سلوى ... نبدأ صفحة جديدة ... الوقت خادنا أنا سامعه أذان الفجر بيأذن ... قومى يا بنتى نتوضأ ونصلى الفجر ...

■ إزاى يا ماما أتوضأ ... !

■ قومى وهعلمك ...

■ وإزاى أصلى ... !

■ هعلمك ...

■ إزاى يا ماما وأنا عمرى ما شفتك بتصلى ولا شفت بابا دا تقريبًا معندناش مصلية فى البيت ...

■ مش للدرجادى يا سلوى ... قومى تعالى معايه نبدأ صفحة جديدة ...

■ موافقة يا ماما بس متبعديش عنى خالص ...

■ مش هابعد عنك خالص بعد كده ...

■ مهما حصل من إغراءات العمل ...

■ مهما حصل أنا خلاص هعمل لدنيتى بتعقل وهعمل لآخرتى بقمة التعقل ... أنتى يا سلوى اللى هتعلمينى دينى وتفقهينى فيه ...

■ أنا يا ماما ... !

■ أيوه أنت ... بخبرتك على الكمپيوتر والنت والشات قصدى غرفة الدردشة المفيدة ... الجانب الإيجابى للنت ...

■ بس أنا مش حافظة أى سورة من القرآن غير الفاتحة وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق تقريبًا ... حاجات بسيطة بس يا ماما ...

■ مفيش مشكلة هنصلى بيهم النهارده ...

■ وبعد كده يا ماما ...

■ هنبدأ نحفظ سوا كل يوم سورة جديدة وهنحفظ تفسيرها وهنحفظ أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وهنعرف فقه السنة وأمهات المسلمين والصحابة ...

■ وهبقى زى الشيخة نادية ...

■ الشيخة نادية دى مثال البنت الشرقية المسلمة المثقفة المتعلمة والمتطورة؛ لكنها محافظة على التقاليد ...

■ مامتها برضه كده محجبة وبتصلى كل وقت وحجت السنادى هيَّه وباباها ...

■ عقبالنا يا سلوى إن شاء الله ... باين باباكى صحِى من النوم أهو جَىّ ناحيتنا ...

■ أيه يا دكتورة معطلة سلوى عن المذاكرة ليه ... وأنت ياسلوى أيه اللى مسهرك لحد دلوقتى ...؟

■ هنقوم نصلى الفجر أنا وسلوى وبعدين أدخل أنام ...

■ اشمعنى ...!

■ يعنى أيه إشمعنى ...!

■ من إمتى أنتى بتصلى يا دكتورة ... !

■ من دلوقتى وعلطول إن شاء الله يا دكتور ...

■ على العموم ربنا يكرمكم إبقوا ادعولى ...

■ وندعيلك ليه ما تيجى تتوضأ وتصلى بينا جماعة ...

■ معرفش أصلى إمام يا دكتورة ... ما اتعودتش!

■ بلاش نصلى جماعة كل واحد يصلى لوحده .

■ هبقى أصلى بعدين أصلى أنا تعبان وعندى عمليات الصبح فى المستشفى ...

■ يا دكتور ... يا دكتور ...!

■ يا بابا ... يا بابا ...!

يتركنا أبى دون أن يرد على أمى ولا علىَّ، ويعود إلى حجرته ويغوص فى نوم عميق. لقد غلبه الشيطان وسيطر عليه وحرمه من حلاوة الإيمان ...

ولأول مرة أحس بحلاوة الإيمان فى قلبى ولأول مرة أشعر براحة نفسية بعد الوقوف بين يدَى الله ...

وفور الانتهاء من صلاة الفجر جلست أنا وأمى على المصلاة نبكى ونبكى ونستغفر ربنا عما كنا فيه من جهالة دنيوية ... ودعونا لأبى بالهداية. أبى يعمل الخير الكثير والكثير، يُجْرى عمليات مجانية للناس الغلابة غير المقتدرين لكن كيف يا أبى وأنت لا تصلى والصلاة عماد الدين ... كيف ... كيف ... !

وقضت أمى القليل المتبقى من الليل معى بجوارى على السرير فى حجرتى تحدثنى وأحدثها تحكى لى عن حياتها الماضية ، ولأول مرة أسمع منها هذا الكلام ... وتستحلفنى أن أسامحها على أسلوب تربيتى ...

وعاهدتنى وعاهدتها أن نكون أعز صديقة وأم وبنتها وأخت

وأختها وكل شيء فى دنيتى، نكون شخصًا واحدًا نفكر بصوت مسموع نُسّدى النصيحة ونتقرب إلى الله أكثر وأكثر حتى يرزقنى الله بزوج صالح أسعد به ويسعد بى ويسعد به كل من حولى ويرزقنى الله بالذرية الصالحة، وبإذن الله سأُحّسن تربيتهم وأكون لهم أعز صديقة ...

٢٠٠٥/٣/٩

# عـــروســـة لـــزوجـــى

لم أتصور فى يوم من الأيام أن يخطر ببالى ما أفعله الآن، إنه جنون إذا حدثت به أحد نهرنى ...

ماذا أفعل إن فلسفة الزواج أعمق مما يتصوره أكثر الأزواج خاصة زوجى ... !

لقد عدنا إلى بداية الإنسان عندما كانت القوة هى القانون السائد عند الإنسان الأول ، الذى لم يكن يعرف ماهية الزواج ، وكان ينجب الأولاد من أقرب أنثى فى متناول يده وكانت الغلبة دائمًا للقوة والشجاعة ، وكان الأطفال دائمًا ملكًا للزوجة أو القبيلة. ثم أراد الله - سبحانه وتعالى - أن يدعم الأخلاق فشرع الزواج منعًا لاختلاط الأنساب وتكوينًا للأسر والجماعات ، وأصبحت الأُبوَّة والبُنوَّة قانونًا نافذًا وأضحى العابث بهذا القانون طريد المجتمع ومن قَصَّر فى حق الأسرة فقد باء بغضب من الله ، ومن مقتضيات الحياة الزوجية ملازمة الزوجين بعضهما البعض والاختلاط الجنسى والتعاون والتكاتف فى الحياة، على الرغم مما

بينهما من تباين فى البيئة والشعور والخلق والذكاء يؤدى إلى أزمات تعترى الحياة الزوجية. وما أجمل قول الله تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ ، وقوله جل شأنه : ﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجًا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ﴾ صدق الله العظيم ...

إن أغلب الرجال فى وقتنا هذا يظل بعد الزواج لمدة قد تطول أو تقصر قانعًا بما تبديه زوجته نحوه من عاطفة وميل وإرضاء لغريزتهما المشتركة، إلى أن يأتى الوقت الذى تفتر فيه هذه العاطفة فتعجز الزوجة عن إشباع ميوله ورغباته فلا يجد منها العاطفة التى عهدها من قبل فيحل العراك لأتفه الأسباب وأبسط الأمور ...

ماذا يفعل هذا الزوج القوى المحتاج لإشباع رغباته ؟ لا مفر من عدة حلول ، وكلنا نعرفها إذا كان متدينًا فيتزوج بزوجة أخرى، وإن كان غير ذلك فسوف يتخذ خليلة أو عشيقة وما أكثرهن ...! وزوجى أنا أعرفه جيدًا، فبرغم قوته لا يستطيع أن يخوننى خوفًا من عذاب يوم القيامة ...

تذكرت ليلة زفافى وخجلى من التَّعرى أمام زوجى ورؤية جسدى ومُثُول كلمات أمى أمام عينى أنه لا جريمة فى الاتصال بين

زوجة وزوج، فهو ليس إثمًا يُرتكب فى جُنح الليل وراء الأبواب المغلقة تحت دثار ثقيل من الأغطية وفى حلكة الظلام بل فى وَضَح النهار والجسم عارٍ، فهذا أمر مرغوب فيه لاستجلاء محاسن الحبيب ...

وتقول أمى : يا بنتى، إن هذا حق كريم وواجب شريف طاهر ويكفى قول الله تعالى فى مُحْكم آياته : ﴿نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنَّى شئتم﴾ ...

هذا الكلام الذى غرزته فىَّ أمى جعلنى أستمتع مع زوجى وأمتعه ، واستمر الحال لعدة سنوات ورزقنا الله بالولد والبنت وحمدنا الله على ذلك ... وكبر الأولاد وكثرت مشاكلهم وأصبحت أُرْضى زوجى على قدر المستطاع، فقد زاد الحمل على كاهلى ... !

أذهب إلى العمل فى الصباح الباكر، ثم أعود لأدخل المطبخ وما يتبعه من عمل يستمر لفترات طويلة ثم مذاكرة الأولاد وأشياء أخرى ... لقد أصابنى المرض؛ مما جعلنى أنظر إلى هذه الرغبة نظرة غير التى أدمنتها فى الماضى، فأصبحت أُرْضِى زوجى وأنا كارهة لها وأنها شهوة حيوانية ...

وناشدته أن يرحمنى من هذا العذاب الذى لا يُجْدى ولا فائدة منه، فإن الله قد رزقنا بالأولاد والحمد لله، وكفاك يا زوجى هذا..!

يقـول زوجى : ليس الأمـر أمـر حـمل وتناسل فقط، لا بد أن تعلمى يا زوجتى العزيزة أن ما أحلَّه الله ليس فى مقدور بشر أن يحرِّمه. كيف تصدرين حكمك بهجر الفراش، وطال الهجر يا زوجتى ووضح أمـام الأولاد ... إنك تجنين على نفسك وعلى أولادك ... كيف أُشبِع رغباتى التى تفوق شباب أقوياء ! لا بد من البحث عن اللذة والعاطفة عند غيرك لكن بما حلله الله، لا بد أن أتزوج زوجة أخرى ... فقلت له : أنا موافقة وأقر بذلك أمام الجميع ... ماذا أفعل أمام قوتك التى لم يخمدها الزمن، لقد دعوت الله أن يبتليك بما ابتلانى به الله دون استجابة ... !

أنا عكس الكثير من الزوجات اللاتى يشتكين من أزواجهن ... لقد تشبعت خلال العشرين سنة الماضية، وأعترف بأننى كنت مجابهة بدون طلبها فى أى وقت وهذا ذكـاء منك يا زوجـى العزيز ... !

عندما قرأت فى إحدى المجلات تحقيقًا عن ازدياد العنوسة بين بنات هذا الجيل ومناداة بعض الفتيات بزواج الرجل أكثر من زوجة لحل هذه المشكلة، قلت فى نفسى كيف ترضى أية زوجة أن يكون لها شريكة فى زوجها، إنه شبه جنون من هؤلاء الفتيات العانسات ...! وعندما أقرأ عن خيانة الأزواج والزوجات أُصاب بحالة من خيبة الأمل ...

لكن عندما حدث لى ما حدث ... طرأ على ذهنى فكرة : ماذا يحدث لو اخترت لزوجى زوجة لإشباع رغباته التى عجزتُ عن إشباعها دون المساس بحقوقى وحقوق أولادى ...!

هل تستطيع يا زوجى العزيز أن تفى بكل متطلبات البيت ... !

يكفينى يا زوجى أن أعيش وسط أولادى الخمسة ونحن سعداء بهذه العيشة وعش أنت كما يحلو لك، لكن دون أن يعلم أحد بما يحدث ... خاصة الأقرباء والجيران ... تزوج يا زوجى وعش بعيدًا عن هنا وما أدراك ما هنا أولادك وأسرتك وأقرباؤك وأهلك وأهلى وجيرانى وتاريخك المشرف؛ حتى لا تجرحنى وتجرح بناتى وتحرمهن من مجىء عريس مشرف ...

لا أطيل عليك يا زوجى العزيز إننى أبحث عن عروسة لسيادتك، لكن مش أية عروسة. لا تتعجل فإن الأمر عسير يا حبيبى - آسفة يا من كنت حبيبى - يا أبو عيالى لا تتعجل الأمور بكل بساطة، ولا تأخذ كلامى مأخذ الجد حتى يحدث الحدث ... زوجى العزيز، أرجوك تمهل ولا تتعجل ...

إنى امرأة لها طبيعة خاصة وفكر متقلب ماذا أفعل ... !

أحيانًا تتغلب فكرة زواجك لأستريح ... لكن عندما أحكِّم عقلى ... أجد أنه لا راحة فيما أفكر ... أوعدك يا زوجى أن أغير من نفسى ... لكن أرجوك أن تساعدنى أن تعيد الماضى أو على

الأقل جزءًا منه، لا أريد الانقضاض وليس كل ليلة وليس كل صباح ولا كل ظهيرة ولا المرات العديدة فى اليوم والليلة كان زمان ... زمان الصحة والوقت وبيت خالى من الأولاد ... حرية مطلقة ... جو يكسوه الرومانسية والعاطفة والحب والاشتياق المتواصل لإشباع هذه الغريزة .. أصبحت أنا الآن غيرك يا زوجى لست بالنهم الذى يسيطر عليك ... أرجوك احترم مشاعرى ورغباتى وحالتى المرهقة المتعبة ... سأحاول بكل جهدى أن أعيد لك جزءًا من الماضى بنفس الرومانسية والحب والاشتياق ... لعل الله يغيِّر ما نحن فيه ... وإن عجزت عن ذلك ... فلك ما تريد ... لكن دون طلب المساعدة منى ...

أنا من أنا امرأة تبحث عن حل لإرضاء زوجها دون المساس بحقى كامرأة ...

تمهل يا زوجى ولا تتسرع فى أخذ القرار المصيرى، أعطنى مهلة أخرى، عايش التجربة ... بحق ما أمتعتُك به فى الماضى، بحق أولادك الخمسة الذين لا ذنب لهم أرجوك تقرَّب أكثر إلى الله وأكثر من طاعته؛ لعله عز وجل يحدُّ من شهوتك. يا سبحان الله ! ألا يوجد إنسان سواء ذكر أو أنثى على وجه الأرض سعيد ومرتاح البال ...

ما أكثر البيوت التى تُهدم لعدم إشباع الزوج لرغبات زوجته

العـادية وحـدوث المشـاكل بسـبب هـذا الموضـوع حـتى تصل إلى الانفصـال، أو تعيش الزوجة معذبة وراضية بحظها التَّعِس إلى أن يقضى الله أمرًا ... وأنا أهجر الفراش ... !

هل هذه مـشكلتى أنا فـقط ... أم توجـد زوجـات يعـشن نفس المشكلة ...؟

ماذا أفعل مع زوجى ... !

أأعيش وأنا ... أم أطلب ... أم ماذا ... !

لعل الله يرشـدنى إلى الأسلـوب الأمـثل فى التـغلب على هذه المشكلة ... والله خير معين ...

فجر يوم ٢٠٠٦/١١/٤

ثانى أيام عيد الفطر المبارك

# عضـــو البـرلمـان

ذقت اليُتْم مبكرًا أنا وإخوتى السبعة الذين لا يفصل بيننا سوى سنة ... سنة بين كل أخ وأخت : أربع بنات وثلاثة بنين ...

فتحت عينى على الدنيا فلم أجد سوى الفقر الحالك وأم شابة مكبلة بسبعة أطفال دون عائل للأسرة، لا أرض نملكها ولا مورد رزق يغنينا عن السؤال ... ! خرج إخوتى الأكبر منى إلى العمل وهم صبية ... منهم من عمل أجيرًا عند أصحاب الأرض والآخر عمل فى البناء، ولم تتوانَ الأم عن الخروج إلى العمل وتربية الطيور لبيعها للأغنياء ...

أنا الابن الأصغر وأشار أخى الأكبر أن أذهب إلى المدرسة، فالتعليم بالمجَّان ويريد أن يكون فى الأسرة أخ متعلم ربما يكون ذا شأن فى المستقبل. وألتحق بالصف الأول الابتدائى وكنت لا أستطيع تغيير الكراسة، فكنت أكتب بالقلم الرصاص حتى يصغر ويستغيث من يدى، وكنت أمحو ما كتبته بالكراسة وأعيد الكتابة من جديد ... لم يكن خطى جيدًا ولم أُجِد القراءة والكتابة بعد.

ولم يسعدنى الحظ بأن أكمل ما يحلم به إخوتى وأمى، ففى منتصف الصف الثانى الابتدائى تأتى نكسة ١٩٦٧ ويُهجَّر أهالى منطقة القناة سكان مدن بورسعيد والسويس والإسماعيلية ويُوزَّعون على معظم مدن وقرى محافظات القاهرة الكبرى وكانت قريتنا من ضمنها ...

جاء لقريتنا أعداد كثيرة من أهالى الإسماعيلية والسويس. أين سيعيشون ؟ ولم يجد المسئولون عن البلدة حلاً لذلك سوى تسكين هؤلاء الناس فى بعض المدارس الحكومية ! وتم اختيار مدرستى، وقُسِّم الفصل إلى أربع حجرات صغيرة لا يفصل بينها سوى بطانية معلقة من إحدى الحوائط إلى الأخرى ، كان يعيش فى كل فصل أربع أُسَر وتوجد دورة مياه واحدة مشتركة لكل المدرسة التى يقطنها أكثر من ٢٠٠ أسرة ... الفقر والضياع يلاحقنى، الغم والحزن يخيِّم على بلدتنا كما خيم على مصر كلها نتاج نكسة ١٩٦٧ ... يتم توزيع تلاميذ مدرستنا على المدارس المنتشرة فى ضواحى بلدتنا أو فى بلاد مجاورة لنا ...

وكأن القدر لا يريد أن أتعلم ... فيقول إخوتى : بركة يا جامع! بلاش مدرسة خليك زينا تعالى اشتغل معانا ... ماذا أشتغل وأنا لم أتعد السنوات السبع ... ! فذهبت للعمل كصبى نجار مسلح مع أخى الأكبر منى وخرجنا نبحث عن العمل فى باقى محافظات الجمهورية نجوب ضواحيها وقُرَاها قبل مدنها؛ خاصة بعد

انتصارنا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ وعودة الأراضى المصرية المحتلة إلى أصحابها وعودة المُهجَّرين إلى بلادهم وبيوتهم وحركة التعمير التى صاحَبت ذلك، إعادة تعمير مدن القناة. فتح الله علينا وعلى إخوتى وبدأت الدنيا تحنو علينا بفضل دعوات أمى لى ولإخوتى الأكبر منى ، وأصبحت الآن شابًا يجيد العمل أصبحت نجار مسلح أسطى يسعى ورائى أصحاب الأعمال، أقصد معظم المقاولين خاصة مقاولى المعمار ... أذهب مع فلان ثم أتركه وأذهب مع آخر لأنه سيعطينى أكثر ... لكن كله بالشَّقَا طوال النهار فى قسوة حرارة الشمس فى الصيف وبرودة الشتاء، حتى واتتنى فرصة السفر إلى الخارج ...

سافرت إلى السعودية للعمل كنجار مسلح فى إحدى شركات التعمير بمرتب مجزٍ والحمد لله، مكثت أكثر من عشرين عامًا أتنقل من مكان إلى آخَر، رزقنى الله الخير الكثير والكثير وأديت فريضة الحج أكثر من مرة واعتمرت مرات عديدة ، وأحضرت أمى إلى السعودية أكثر من مرة وأدت فريضة الحج وأرسلت ما يكفى لزواج أخواتى البنات والحمد لله وأصبح لنا بيت بالطوب الأحمر وسقفه بالمسلح ونسينا بيتنا المبنى بالطوب اللَّبِن وسقفه بالجريد والحطب ...

وحان وقت عودتى من السعودية عودة نهائية .. لقد طالت أيام الغربة وسرقنى الزمن، لا بد أن أبدأ العمل فى بلدى وأتمم دِينى بالزواج ...

ورزقنى الله بزوجة طيبة وأهلها ناس طيبون. وبدأت القيام بأعمال فى المدن الجديدة مثل مدينة السلام و٦ أكتوبر والعاشر من رمضان ومدينة النهضة ومدينة العبور ...

أصبحت مقاولاً كبيرًا يشهد لى الجميع بإتقانى فى العمل وحسن خلقى مع الجميع، وزاد رزقى أكثر مما كنت أتمنى ...

وتعددت أنشطتى فى مجال الاستثمار فقمت ببناء مصنع فى إحدى المناطق الاستثمارية وأوكلت إدارته إلى الأخ الأكبر ... وباقى إخوتى أقمت لهم مشاريع هادفة تدرُّ عليهم الخير الوفير ، وأشركت معهم أزواج أخواتى البنات ...

كانت دعوات أمى مباركة وكانت تقول لى : إنك يا بنى دائمًا مرزوق منذ ولادتك وأنت مرزوق، لقد حققت ما أصبو إليه من الناحية المادية، لقد انتصرت على الفقر دون رجعة بإذن الله ...

بدأت أبحث عن الوضع الاجتماعى، فأقرانى ومن هم فى سنى تقلدوا مناصب بحكم حصولهم على شهادات جامعية وأنا من أنا أقرأ وأكتب بصعوبة وما الحل ؟ أشار أحد أقربائى بالترشيح فى المجالس المحلية : أدخل مجلس محلى القرية ثم مجلس محلى بالمركز ثم مجلس المحافظة، ويمكن أرشح نفسى فى يوم من الأيام لمجلس الشعب ...!

وبدأت أتقرب إلى من يعملون فى السياسة وهم معروفون فى

بلدتنا، وأشرت عليهم فوعدونى بالدخول فى مجلس القرية وانتظرت ... وانتظرت ... حتى جاءنى أحد محترفى السياسة فى بلدتنا من أيام الاتحاد الاشتراكى والزعيم جمال عبد الناصر وما زال حتى اليوم فى المجالس المحلية والحزب الوطنى ... أشار بالتقدم للترشيح لمجلس الشعب ...

- أيه المانع تقدم أوراقك للترشيح لمجلس الشعب ...!
- إزاى ...؟
- هقولّك إزاى تجهز ... وتجهز ...
- أنا مش قصدى الأوراق ...
- أمّال قصدك أيه ...؟
- قصدى أنا أنفع أبقى عضو برلمان ...؟
- تنفع ونص ...
- هدخل أمام المستشار فلان واللواء علاّن ...!
- بفلوسك تقدر تفوز على كل دول ...
- يا راجل قول كلام غير ده ...
- اسمع الكلام وقدم ورقك ومش هتندم ...
- على العموم هفَكّر فى الموضوع ده ...

■ متفكرش أنا هشيع فى البلد أنك هترشح نفسك ..

■ كده علطول ...!

■ أيوه قبل ما حد يفكر فى الموضوع ...

■ وهعمل أيه دلوقتى ...؟

■ ولا حاجة، عاوزين شوية فلوس نعمل شوية يُفَطّ ولوَح وورق ونبدأ نوزعهم ...

■ إذا كان على الفلوس خدوا إللى أنتو عاوزينه ...

■ وتبدأ تروح تعزى فى أى حد يموت ...

■ دى برضه سهلة ...

■ مش فى البلد بس لكن فى كل الدايرة ...

■ أيه الدايرة دى ...؟

■ هبقى هفهمك بعدين ...

■ والأفراح ...

■ هعمل فيها أيه دى كمان ...؟!

■ هتروح وتجامل العريس بمبلغ كبير ...

■ ماشى ...

■ وترسم نفسك بالعربية المرسيدس وسواق خصوصى .. إوعى تسوق أنت ...

■ ماشى ...

■ بس كده يا سيدى الباقى عليَّه أنا ...

■ هتعمل أيه ...؟

■ هجمع شوية استنفعجيَّة يمشوا معانا ...

■ أيه استنفعجية دى ...؟

■ يا عم ناس بتوع انتخابات ... لا انتماء لهم غير الفلوس ... الفلوس هيَّه اللى بتحركهم ...!

■ يا نهار أبيض فيه ناس كده ...!

■ أيه يا عم الحاج ... ملكش دعوة أنت ... أنت تدفع وبس ...

■ إذا كان على الفلوس ... الفلوس موجودة ...

■ اتفقنا يا صاحبى ... سلام ...

وتختمر فكرة ترشيحى لعضوية مجلس الشعب وأتقدم بالفعل وتبدأ الحملة الانتخابية كما يسمونها ...

ويبدأ صاحبى محترف الانتخابات يوجهنى ... نعمل مؤتمر شعبى فى المكان الفلانى أقولُه : حاضر ونصرف نعمل صوان

وميكروفونات وحد يكلِّم بدالى وأحيانًا أتحدث على استحياء، حتى تغلبت على الخجل الذى كان يلازمنى ...

وحانت ساعة الصفر يوم الانتخابات وخرجت أهالى بلدتى، وبدأت أطوف بأهل الدايرة وأحثهم أنا ورجِّلتى لانتخابى ...

وكانت المفاجأة أن أحقق انتصارًا غير مسبوق وأن أحصل على أصوات تماثل ما حصل عليه مرشح الحزب الوطنى .. أنا المرشح المستقل تتم إعادة الانتخابات بينى وبين مرشح الدولة، ولعدة عوامل يطول شرحها أفوز بعضوية مجلس الشعب .. أنا مش مصدق نفسى، يكاد يُجن عقلى مش معقول ...!

أنا بقيت عضو مجلس الشعب ... أُحمل على الأعناق ويطوف أهل بلدتى بى شوارع البلدة، وتطوف العربات والموتوسيكلات بلدان الدائره معلنة عن فرحة الجميع ويسقط المستشار ويسقط اللواء ... وأبكى من كثرة الفرحة وأشكر ربى على هذا، على رأى أمى : أنت يا بنى محظوظ ومرزوق من يومك ... خلاف الكبار وتنافسهم على كرسى العضوية يؤدى إلى سقوطهم من فوقه وجلوسى أنا بكل سهولة ... مفاجأة للجميع ومفاجأة لرجال الدولة .. بدأت أجهزة الدولة تتعرف إلى العضو الجديد، وبدأت أهيِّئ نفسى للمنصب الجديد. سبحانك يا رب أنا عضو البرلمان سبحانك ...!

وتبدأ الدورة البرلمانية وأنا سعيد بما وصلت إليه من مركز اجتماعى قد حبانى الله به ولا بد من الحفاظ عليه ... أنشأت عدة مكاتب يوجد بها عدة موظفين على أعلى مستوى لمقابلة أهل الدائرة وتلقّى طلباتهم وعرضها علىَّ أو مقابلتى فى الأيام المحددة لكل بلدة. ومرت السنوات مسرعة وأنا راضٍ عمَّا أنجزته من خدمات لأهل دائرتى ...

حقيقى لقد أفدت واستفدت الكثير والكثير لقد كبرت شركاتى وزادت أموالى وزاد حرصى على التمسك بالكرسى ولا بد من الجهاد حتى الموت من أجل الكرسى. وها هى الدورة الثانية، ونجاحى فى الدورة السابقة شجع الجميع للترشيح لعضوية مجلس الشعب. لكن انتخابات هذه الدورة أدخلها بقوة وتمكّن واطمئنان ، لأننى مرشح الحزب الوطنى مرشح الدولة. وأصبح لى شعبية فى كل بلدات الدائرة ، وأصبحت متمرسًا على خوض المعارك الانتخابية ... وبإذن الله هنجح شىء طبيعى أننى هنجح. لقد وضعت رِجْلى داخل البرلمان ولن أخرج منه إلا بعد عمر طويل، خروجى من المجلس هو خروجى من الدنيا ... لكن أرجوكى يا أمى أكثرى من الدعاء لابنك عضو البرلمان ... دعواتك مستجابة يا أمى، قولى دائمًا : اللهم انصر ابنى عضو البرلمان ...

**فجريوم ٢٠٠٥/١٠/١٠**

# عطـــاء اللـــه

تزوجنا زواجًا تقليديًا. هو شاب مهذب متدين مثقف خريج كلية الطب حديثًا وحيد أمه وأبيه ... يملك الكثير من سبل الحياة المادية ... شقة مجهزة من كل شيء تشتهيه النفس البشرية ... عيادة فى نفس العمارة التى نقطنها لا ينقصها شيء ... سيارة على آخر موديل ... فرحت به وشكرت الله على نعمة الزوج التى حبانى بها الله عز وجل ...

رفض زوجى أن تُقام ليلة عرسنا فى أحد الفنادق الكبرى كالمعتاد فى وسطه الاجتماعى ، واقتصر الحفل فى أحد النوادى فى قاعة متوسطة الحجم جمعت الأهل والأصدقاء والأحباء. لم يأت بالمطربين والمطربات والراقصات، وإنما اقتصر على الغناء الدينى المعتاد فى هذه المناسبات ...

وما إن أُغلقت علينا شقتنا ودخلت غرفتى لأبدل ملابس العرس وآخذ حمامًا وأرتدى ما يناسب هذه الليلة، إلا وأشار على زوجى أن نصلى ركعتين شكرًا لله عز وجل ونصلى العشاء جماعة

أنا وهو، ثم رددت وراءه الدعاء الذى يُقال فى هذه المناسبة. وقضينا ليلتنا بكل حب ومودة ورحمة بين الأزواج أمتعته وأمتعنى بما أحل الله عز وجل ...

وجاء الأهل والأصدقاء والأحباب يباركون زواجنا صبيحة عرسنا فرحين بما نحن فيه ... وتطمئن أمى كما تفعل كل الأمهات بأسلوب مهذب وكما علمتنى أمى أنا وأخواتى ... أرى ذلك على وجه زوجى من حسن استقباله لهم والتفانى فى تقديم كل ما هو موجود فى شقتنا من فاكهة وأشياء حلوة ...

وتمر الأيام وأنا سعيدة بزواجى من مصطفى الذى حبانى به الله عز وجل، فلا بد أن أحافظ عليه وأجاهد فى سبيل إسعاده ...

يذهب مصطفى إلى المستشفى فى الصباح ويعود إلى المنزل قرب صلاة العصر ليجدنى فى انتظاره، نتناول وجبة الغداء معًا ويستريح لبعض الوقت، ثم يذهب إلى العيادة حتى وقت متأخر من الليل وأنا أنتظره على جمرة من النار أتفنن فى إسعاده ، ومضت عدة شهور ولم يتحرك شىء فى أحشائى. قلت : يا طبيب لماذا ! .. قال : أمر الله ! لا تقلقى فهذا شىء طبيعى يحدث فى كثير من الحالات، إن السنة الأولى من الزواج لا تُعتبر مقياسًا للحمل ...

وأمام توترى ذهبت للطبيب المتخصص بصحبة زوجى وتم عمل التحاليل اللازمة لنا فى مثل هذه الأمور، فوجد كل شىء سليمًا .. وإنما هى عملية وقت مش أكثر ...

وحمدت الله وانتظرت فرجه فى أى وقت لكنه طال ... تنتهى السنة الأولى لزواجنا تتبعها الثانية والثالثة ولا شىء، لقد مللت كلام الأهل والصديقات على عدم الخِلْفَة ...

وأشار علينا أحد الأطباء الكبار المتخصصين بعمل فحوصات أخرى أنا وزوجى ورضخنا لذلك، وكانت النتيجة مرضية للطرفين : لا شىء سوى الوقت ...

وتحاول أمى استنباط أية معلومة عن زوجى من هذه الناحية، أتهرب .. تقول لى : إنه وحيد أبيه وعمه الأكبر لم يرزقه الله شيئًا من الأولاد وعمته أيضًا يا بنتى يمكن ... الله أعلم ... !

وأصبح يخيم على المنزل على شقتنا الجميلة الهادئة الصامتة حزنٌ دفينٌ، أحاول أن أخفف عن زوجى وهو يجاهد فى أن أتناسى هذا الموضوع بشتى الطرق المتاحة لكن هيهات ... كيف أنسى ذلك وأنا أرى صديقاتى وأختى الأصغر منى والتى تزوجت بعدى بأكثر من سنة معهن أولاد ... وأنا ... !

لقد مر على زواجنا أكثر من سبع سنوات عجاف وأنا أحترق من داخلى حزنًا على الأمومة المفقودة، لست ناقمة على قضاء الله والعياذ بالله لكنها النفس البشرية ...

ويحاول زوجى إسعادى بكل الطرق المتاحة، فنذهب لأداء العمرة مرتين فى السنة ونذهب للحج كل عام ... ويشترى زوجى

شقة جديدة فى منطقة راقية وشاليه فى الساحل الشمالى ونغير السيارة كل فترة وجيزة ...

لكن الشوق إلى الأمومة يكاد يقتلنى وأنا من أنا امرأة خصبة، هذا ما أكده لى كل الأطباء المتخصصين، أرض خصبة تحتوى على كل أنواع المعادن الأساسية للتربة تريد أن يُقذف فيها بذور حية لتنبت نباتًا وزرعًا ... أيكون العيب من زوجى وهذا ما يدفعه لإرضائى لأقصى الحدود ...؟

هذا قَدَرى لا بد أن أرضى بما قسمه الله لى؛ إن الله عز وجل لا يظلم أحدًا ... إننا كبشر أعطانا الله عز وجل كل شىء بقَدَر ونسب ثابتة، فى النهاية الكل متساوٍ ...

أعطى الله الزوج الصالح أو الزوجة الصالحة وأعطى الله الولد والبنت ومنعهما من أناس آخرين، وأعطى الله المال الوفير والمركز والصحة وراحة البال و ... و ... ومنع عن ناس ... و ... فى نهاية المطاف إذا جُمعت هذه النسب، فلا بد أن تجدنا كلنا متساوين ...

رضيت بقضاء الله، وتقربت أكثر إلى الله سبحانه وتعالى. وداومت على قراءة القرآن الكريم وحفظه وحفظ الأحاديث النبوية وعلى حضور جلسات الدعاة الذين حبانا الله بهم من أهل التقوى ...

كل ذلك وزوجى منشغل أكثر فى عمله وفى دراسته العليا لتكملة الدكتوراه بعد حصوله على الماچستير وبين المستشفى والعيادة ...

وتمر الأيام بحلوها ومرها، سعادة ظاهرية يغلفها الحزن الدفين ... كل شىء بأمرك يا الله ... ودعوت الله أن يدخر لى أمومتى فى الآخرة ... !

وفى إحدى الجلسات الخاصة مع زوجى حدثنى عن الأولاد ...

- أيه رأيك يا حبيبتى نجيب طفل نربيه ...؟
- طبعًا لا يا مصطفى دانتا راجل متدين وفاهم كويس أن الإسلام حرَّم التبنِّى ...
- أنا مش هتبنَّاه ...
- أُمَّال قصدك أيه يا مصطفى ...؟
- أنا قصدى نجيبه واد أو بنت نربيه باسمه حاجة تسعدك ...
- برضه مينفعش يا مصطفى، وبعدين أنا والحمد لله كويسه وبعدين ماحنا كافلين أكثر من طفل فى أكثر من ملجأ ...
- أنا آسف يا ستِّى فكرة وجت على بالى ...
- خلِّيك فى شغلك يا مصطفى ومتخليش الموضوع ده يشغلك ...

■ متشكر يا حبيبتى ربنا يخليكى ليَّه ...

■ ويخليك ليَّه يا حبيبى وميحرمناش من بعض أبدًا ...

■ يا رب ... أنت نِعْمَ الزوجة الصالحة ...!

■ وأنت نِعْمَ الزوج يا مصطفى والكل بيشهد بكده أدبك وعلمك الوفير وعطفك على الناس الغلابة وتخصيص يومين فى الأسبوع للناس الغلابة وسفرك فى القرى والنجوع لعلاج المرضى غير المقتدرين ومساهمتك فى بناء بعض المساجد ... أقول أيه ولا أيه ... الناس عارفه وربنا مُطَّلع ...

ولم تمضِ عدة أيام على هذه المحادثة بينى وبين مصطفى حتى يذهب مصطفى إلى مدينة الفيوم لإجراء عملية جراحية فى أحد مستشفيات الفيوم، وأثناء عودته إلى القاهرة مرهقًا تنقلب به السيارة ويلقى حتفه ... وينزل علىَّ الخبر كالصاعقة ...

ماذا أفعل بدون مصطفى ؟!! أنت زوجى وحبيبى وأمى وأبى وأولادى، أنت كل شىء فى حياتى. ياليتنى كنت معك فى السيارة لنذهب معًا إلى الآخرة ...

لماذا تركتنى فجأة وبدون مقدمات فى هذه الدنيا ... !

أستغفر الله العظيم على كل ما أتفوه به ... لقد جفت عيناى من كثرة بكائى عليك يا مصطفى ...

ويلتف حولى الأهل والأصدقاء لإخراجى من الحزن الذى سيطر علىَّ ... لقد كرهت كل شىء فى الدنيا ... لا شىء يُفرحنى وتمر الأيام ثقيلة تكسوها الرتابة والحزن ... وأغلق شقتى وأعود إلى منزل أبى وأمى منكسرة بعد زواج دام ما يقرب من خمس عشرة سنة ...

ويتم تقسيم تركة مصطفى وأَرثُ ما شرعه الله للزوجة ولم أفكر فيما يفكرون فى هذا الإرث. مصطفى عندى بالدنيا كلها لم يخطئ فى حقى فى يوم من الأيام وأعطانى أكثر مما أستحق، فقد كتب لى الشقة التى نسكنها وشقة العيادة وشاليه الساحل الشمالى وسيارتى علاوة على النقود بالبنك ... الحمد لله أنا قنوعة بما أعطانى الله وأقل من ذلك بكثير كنت أرضى يا الله لكن أين السعادة التى لا تُشترى بالمال ...؟!

وتشير على والدة زوجى وأهالى المنطقة بأن تُفتح عيادة الدكتور مصطفى خدمة لأهالى المنطقة ولخدمة الناس الغلابة صدقة على روح الدكتور مصطفى ووافقت على الفور ...

وجاءت أم زوجى بطبيب شاب كان يعمل مع الدكتور مصطفى لبعض الوقت، وكان قد سافر لنَيْل الدكتوراه من الخارج ولم يمضِ على عودته إلى الوطن إلا أيام قليلة ...

أشار علىَّ الدكتور أحمد صديقُ مصطفى بأن تُفتح العيادة

على أن يكون ريعها مناصفة بينى وبينه، وكذلك الصدقات التى كان يُخْرجها مصطفى للناس الغلابة ...

وبدأ الدكتور أحمد يتقرب إلىَّ ويقوم على إنهاء بعض مطالبى التى أحتاجها وإنهاء بعض المشاكل الخاصة التى تواجهنى ...

ولم تمضِ السنة الأولى على وفاة مصطفى حتى يفاتحنى الدكتور أحمد بالزواج، فهو شاب متدين لم يتزوج من قبل يكاد يقترب منى سنًّا ومعجب بى بكل ظروفى ...

وإزاء إلحاح أحمد وافقت على طلبه، وتم زواجنا مقتصرًا على الأهل فقط وبمباركة أم زوجى السابق ...

ولم تمضِ عدة شهور قليلة إلا وأحسست بأعراض الحمل ويرزقنا الله بالولد، ويصر الدكتور أحمد على أن نسميه مصطفى وفاءً للصديق والزوج الوفى .. ونفرح ويفرح الأهل والأصدقاء بأن أعطانى الله الولد ...

ولم تمضِ السنة الأولى على مجىء الطفل الأول إلا ويرزقنا الله بالولد الثانى وأصمم على تسميته أحمد ويرفض زوجى، وأصمم مرة أخرى فيرضخ للأمر الواقع ... ثم يرزقنى الله ببنت ونفرح بها ونسميها مريم على اسم أم مصطفى، وتفرح بها وكأن الأولاد أولاد مصطفى ، ويتجمع الأهل والأحباب فرحين بما أتانا الله من فضله ...

وأشكر الله على عدم حرمانى من نعمة الأمومة التى انتظرتها أيامًا وشهورًا وسنين وقد عزت على المجىء ورضيت بأمر الله ... لكنه هو الرزاق ذو القوة المتين ويرزق بدون حساب ولا وقت لعطائه ...

رحمك الله يا زوجى العزيز الغائب مصطفى، وأطال الله فى عمرك يا زوجى الغالى الحاضر أحمد، وحفظك الله من كل مكروه وبارك الله فى أولادنا. فسبحانك أنت نعم المولى ونعم النصير ...!

صباح ٢٠٠٦/٤/١٥

# غـــربـــاء

عشت فى بعض المدن الأوروبية فترات طويلة خلال دراستى والعمل هناك، وبرغم التقدم فى كل نواحى الحياة لم أسعد بهذا... حياة جوفاء ... صراعات ... الكل يجرى وراء لقمة العيش كما نقول هنا فى قريتنا لا حياة اجتماعية كما عهدتها فى طفولتى وصباى ...

نعيش فى شققنا غرباء لا نعلم عن بعضنا أى شىء، لا ترابط ولا تعاون ولا تزاور ولا ألفة بين سكان العمارة، الهدف الأول والأخير تحقيق الربح والمصلحة .

وعدت إلى بلدى الحبيبة مصر .. كنت أريد الإقامة والاستقرار فى قريتى وبناء فيلاً جميلة مجهزة بأحدث تكنولوچيا العصر ومعى سيارتى والمسافة ليست ببعيدة عن القاهرة ... لكن رفضت زوجتى ومدارس الأولاد الأجنبية غير موجودة إلا فى مدينة القاهرة وضواحيها؛ فرضخت لأمر زوجتى وعشنا فى شقة جميلة رائعة لكنها فى نظرى زنزانة مصمتة موجودة فى سجن يحوى كل

الغرباء المهاجرين من الأصول العريقة لاهثين وراء الأحسن فى نظر أكثرهم ...

كنت أهرب يومَى الخميس والجمعة لقضائهما فى قريتى فى بيت العيلة؛ لأستزيد من دفء وحنان وعطف أَبَوىَّ .. وأقنع زوجتى بالمواظبة معى هى والأولاد للارتباط بجذورنا ، وكنت أُقابَل بالسخرية من أفكارى التقليدية برغم مكوثى فترات طويلة فى الخارج ...!

حتى عدت فى إحدى الليالى متأخرًا، فوجدت إحدى سكان العمارة والتى تقطن فى الشقة التى تعلونا تستفيث بى ولا تعرف ماذا أصاب زوجها ...

دخلت على الفور وبعد الكشف عليه أيقنت أنه فارق الحياة منذ ما يقرب من ساعة وزوجته لا تعلم بوفاته أخبرتها ، وأحضرت زوجتى مع جارتها التى لا تعلم عنها أى شىء من قبل فى هذه المحنة، ثم قمت بإنهاء إجراءات الدفن من تصريح الدفن والغُسّل ، وصحبناه حتى دُفِن فى قريته بإحدى محافظات الصعيد . وأقامت عزاء على الضيق أسفل العمارة من خلال سرادق صغير به عدة كراسى لم تُملأ، ووقفت أتقبل العزاء ولم يأت أحد إلا بعض سكان العمارة ... مجاملة سريعة ...

وعندما عدت إلى شقتى شكرت زوجتى على وقوفها مع زوجة المُتوفَّى التى لا ولد ولا بنت لها ...

وجلست أفكر فى عيشة القاهريين ... أهكذا العيشة كل واحد فى شقته لا يعلم عن الشقة التى أمامه شيئًا ...! أحيانًا نجد فرحًا فى شقة وحزنًا فى شقة أخرى فى نفس العمارة ... لا علاقات اجتماعية إلا مع من تربطك به علاقة عمل وهى محدودة للغاية ...

أيموت جارنا ولا يعلم أحد من سكان العمارة إلا مَنْ رآنا ونحن نحمله إلى عربة الحانوتى ومَنْ جاء بالصدفة عندما وجد السرادق فى مدخل العمارة ..؟! تأدية واجب وأكثرهم لا يعرفونه والمرحوم أيضًا لا يعرفهم ...

متعتى الأسبوعية هى ذهابى إلى قريتى ومساعدة أهل بلدتى المرضى والفقراء، بالكشف على مريضهم أو تسهيل أية خدمة لأحدهم ...

وفى ليلة من ليالى الجمعة أثناء وجودى فى قريتنا سمعنا بموت أحد الجيران بعد صلاة العشاء ... فى خلال ثوانٍ ودقائق ازدحم منزل المُتوفَّى والشارع الرئيسى والشوارع الجانبية بأهل البلدة ليواسوا أهل المتوفى ومكثوا حتى الصباح ، وفى الصباح الكل يسارع بتقديم خدماته : من يجهز قماش الدفن، ومن يحضر خشبة الغُسّل، ومن يغلى الماء ويحضر الصابون والنعش ...

ومنذ خروج المُتوفَّى من منزله وذهابه إلى المسجد ليُصلَّى عليه وهو محمول على الأكتاف سعيدًا فى نومته هذه بما يحسه من

تسابق شباب ورجال البلدة فى حمل النعش ... كل اثنين قامتهما متقاربتان فى ناحية ثم يتركان الفرصة للآخرين، وهكذا حتى نصل إلى المدافن ... نجد بعض شباب البلدة قد جهزوا اللحد وموزعين أنفسهم فى انتظار المتوفى : منهم من يقف فى أعلى اللحد ومنهم فى أسفله ليضعوا المتوفى فى نومته الصحيحة، ثم نجد من يلقى كلمة دينية ويدعو للمتوفى ... والعزاء ليلاً كأن البلدة بمنازلها خاوية، فالجميع ذهب لتأدية واجب العزاء بدار المناسبات أو المنزل كما يُسمى فى بلدتنا يمتلئ بأحبابه ثم يفرغ ثم يمتلئ، وهكذا من بعد صلاة العصر حتى وقت متأخر من الليل ...

قارنت بين ما شهدته فى قريتى وما شاهدته فى العمارة التى أسكن إحدى شققها ... !

لا بد من العودة إلى القرية ... يقولون إنها رجعية ... عودة إلى التخلف ... يقولون زى ما يقولون ... لا أبالى ...

واشتريت نصف فدان فى مدخل القرية على الطريق الرئيسى، وشيدت فيلاً جميلة وجهزت شقة فى بيت أبى وافتتحتها عيادة شاملة لخدمة أهل قريتى ...

وقررت العودة لأعيش فى وسط أهلى وعشيرتى ولا أعيش فى وسط الغرباء برغم معارضة زوجتى وأولادى ... هل أنا محق ... أم أنا تقليدى رجعى .. ؟! أدعو لزوجتى وأولادى بالرشاد وأن يتبعونى

ليسعدوا باستنشاق هواء نقى صحى، ولينعموا بسحر الطبيعة وجمالها. وزوجتى تملك سيارة وابنى وابنتى أيضًا، لكن للأسف لم أغرس فيهم ذلك من زمان وهذا خطئى ...

أيها الغرباء، عودوا إلى بلادكم قبل فوات الأوان ..... !

٢٠٠٦/٩/٢

# مخالـب الشهـوة

نحن نعيش فى زمن اختلطت فيه الأوراق والمفاهيم والقيَم ، الآباء يُغْدقون العطاء بلا حساب على أبناء تنقصهم الخبرة والمعرفة، يطالبون بالحرية ويتعاملون معها باستهتار .. وبعض الآباء والأبناء يُخْطئون الفهم الحقيقى لمعنى الحرية، فلا هى تعنى أن نترك الحبل على الغارب فيشنقوا به أنفسهم، ولا تعنى الفوضى والتسيب وسهر الليالى. وإنما هى مزيج من الاحترام والثقة التى يمنحها الآباء بفطرة الحب والحنان ... وإذا غاب الأبوان عن البيت أصلاً لأى سبب من الأسباب فعلى الدنيا السلام ... !

نشأتُ فى أسرة تنتمى إلى الطبقة الغنية فى مجتمع تسوده الفوارق الطَّبَقيَّة، وسط اجتماعى يفتقد المعاناة المادية التى تكتوى بها الطبقات الأخرى لكنه يعانى معاناة من نوع آخر ... يحسبهم الناس سعداء ... لكن من أين تأتى السعادة ... وكيف ... !

أبى يتقلد منصبًا كبيرًا وأمى سيدة مجتمع معروفة ولى أخ يكبرُنى بخمس سنوات ... عشت سنوات طفولتى وصباى مدلَّلة من

أبى وأمى وكل من حولى، لم ينهرنى أحد ولم أذق طعم الحرمان وقسوة المعاملة ... مطالبى مجابة ولم أشعر بافتقاد الأم والأب إلا بكل ما يدور من حولى ... أبى مشغول فى عمله وأخى يحقق ذاته بعد أن تخرَّج ووضعه أبى على أولى درجات المجد الوظيفى وانشغاله فى مشروع خطوبته ... وأمى التى تعودتُ افتقادها أدمنَتْ حياة الشهرة والتصفيق فى المحافل الاجتماعية ، والدادة لم تعد تستطيع ملء الفراغ الذى أعيشه، مللت الخدم والحشم .. نعم وحاضر يا فندم ... حضرتك ...

أين أنا من كل ذلك ...! لقد أصبحت الڤيلا كالفندق، مكان للنوم والراحة والأكل والشرب والتفانى من العاملين فى أسلوب الخدمة ... لكن أين أبى وأمى ..؟! إننى محتاجة إليكِ لقد كرهت التليفون المحمول حلقة الوصل بين الأسرة وهو رباط كاذب ، أصبحت أعانى من الوحدة الداخلية ... أفتقد نفسى قبل أن أفتقد مَنْ حولى ... يا أمى من فضلك اسمعينى وعِى أنها مرحلة المراهقة وما يتبعها من تغيرات فسيولوچية للأعضاء التناسلية والنهدين والأرداف وما ينتابها من حالة نفسية ... أريدك بجانبى يا أمى أريد احتواءك ... أريدك صديقة ... كفاكى جفا أين أنتى يا أمى؟! ... أجيبينى ... ارفضينى ... انهرينى ... ! أين صراع الأبوين إننى فى وادٍ وأبى فى وادٍ آخر ... ! إنها الذاتية المفرطة ... لماذا أنجبتمونا إذًا ... !

أهذه هى التربية الحديثة ... الحريـــة فـــى كـل شىء ... ! لا أستطيع التركيز فى المذاكرة ... ينتابنى كثيرًا إحساس بالضيق ولا أدرى ما سبب ذلك ... ربما كرهت الزواج الذى عايشته فى بيتٍ خـالٍ من الداخل وديكور خـادع من الخـارج ومظاهـر كـذابة بين الناس؛ لكن لا بد أن أستخدم هذه الحرية فى الخروج من حالتى النفسية المدمرة ... اقتربت من الصديقات والأصدقاء أكثر وتعودت السهر معهم فى أماكن جديدة كنت أسمع عنها من الصديقات ... ومن كثرة الحكى عن مغامرات الأصدقاء والصديقات والمتعة الجسدية والسعادة التى ينالونها كل يوم، بعد تطبيق ما يشاهدونه فى القنوات الفضائية والنت نتاج الحرية العالمية .. انجرفت بالدخول فى علاقات عاطفية غير محسوبة وغير واعية لا رقابة ولا دين تعلمته يعصمنى من ذلك، وكبداية تبادل القبلات الحارة والأحضان خلال الرقصات فى الحفلات الشبابية ومناوشات رضائية منقوصة وغير مكتملة ... أرغبها وأتمنى نهايتها وأخاف من الوقوع فى المحظور، وأين المحظور فى مجتمع كهذا ... ! وتركت نفسى أعيش كما يعيش أصدقائى وصديقاتى، نفعل كل ما نريده وفى أى وقت نريده دون حساب لأحد؛ حتى وقعت فى حب شاب كان مظهره وثقافته ولباقته وتعاليه على الأصدقاء توحى بأنه شاب مناسب، أحاطنى بكل مشاعر الحب وكلماته المعسولة التى أشبعت روعى لدرجة الاستسلام بكل مشاعرى؛ لكن الجسد يريد

أشياء وأشياء وهى ضرورية للوصول إلى السعادة التى أسمح بها من خلال تجارب الصديقات ...

تطورت علاقتى بهذا الشاب والذى عرفت بعد ذلك بالصدفة أنه من طبقة الفقراء؛ لكننى تناسيت كل ذلك لأعيش تجارب الصديقات والأصدقاء ... ولأول مرة أتذوق نشوة السعادة المكتملة مع هذا الشاب داخل جدران إحدى الشقق التى يمتلكها والدى فى أماكن مختلفة والمجهزة بكل شىء ... لم أشعر بالخوف كما ينتاب أى بنت يحدث لها ذلك فى الحرام ، ولم أندم على فعلتى واعتبرتها حقًا أُعطى لى وأمارسه كما أشاء .. وأمام مخالب الشهوة العارمة التى تنتابنى عقب كل سهرة فى الديسكو مع الأصدقاء أو بعد رؤية ما يثيرنى من خلال ما أشاهده فى الفضائيات والتى أدمنتها، كنت أُكْثِر من ممارسة الحب مع هذا الشاب مثل أى زوجين إرضاء للعشق البدنى والجسد الثائر الرخيص ...

وتمضى الأيام والسنون وأسرتى لا تعلم شيئًا عما يدور لبنتهم الوحيدة .. ما دمت أنجح وسعيدة مع صديقاتى وأصدقائى، فلا توجد مشكلة ...

وعندما أنهينا دراستنا الجامعية طلبت من حبيبى وروحى وحياتى أن يأتى ويقابل والدى ويتقدم لخطبتى لنضفى الشرعية على علاقتنا غير المشروعة ... لكن هيهات ... تحجج بحجج واهية

... ربما موجودة فى أوساطهم لكنها غير موجودة فى أوساطنا ... مستوى أسرته المادى والاجتماعى والمقارنة مع أسرتى ... كيف ! ربما أقابل ... ربما يحدث ... !

أين كان هذا الكلام خلال سنوات الدراسة يا من كنت حبيبى؟! كل هذا سيتم تحطيمه ونعيش حبنا، وسيرضخون لاختيارى وسنتزوج ونعيش فى هذه الشقة السوبر لوكس والمجهزة بكل شىء حديث ومريح لكل عروسين ... هذه الشقة التى شهدت أجمل وأسعد لحظات عمرنا ... أرجوك، أتوسل إليك لا تتركنى ... لا تتركنى ... يتركنى ويعود إلى بلده ... قريته ... بعدما أخذ كل شىء ! ... تاركًا رسالة تحوى كلمات موجعة ... قاتلة ... أفاقتنى من حلم جميل ...

عزيزتى الجميلة الحَبُّوبة، أشكرك على الأيام الجميلة التى عشناها معًا وآسف على السفر المفاجئ للاستعداد لأداء الخدمة العسكرية ولن أنسى اللحظات الجميلة التى عشناها ... ميمى أرجوكى افهمى ما أقول. لا يوجد شىء اسمه الحب ، فقد مات الحب من زمان ... وإنما يوجد العشق البدنى والشهوة العارمة وكيفية إشباعها ومحاولة إرضائها وإطفاء هذه الشهوات الطاغية بستار يُسمى الحب ومحاولة تقليد بنات أوروبا وأمريكا تحت ستار الحرية ... أهذه هى الحرية ... المسخرة وممارسة كل ما حرمه الله ؟! يا عزيزتى، عندما أريد الزواج وبناء أسرة ... سأختار

وسأتزوج واحدة تانية خالص ... باختصار يا عزيزتى بنت بكر تمتلك ثروة من المبادئ والتقاليد والدين، وجسدًا لم يمتلكه أحد قبلى ... لم يُرَ ... ولم يُمسّ ... ولم يتفوه ولم يرضخ ... ولم يُذل ... ولم ... وليس ببنت تفتقد ذلك وفعلت كل شىء ... لا أستطيع أن أقول حبيبتى ولكن عشيقتى، أشكرك على تفانيكِ فى إشباع رغباتى، وأتمنى لك حياة سعيدة مع شخص آخر ...

مزقت الورقة بعصبية وناديت على دادتى وارتميت فى أحضانها، وبكيت بكاء مريرًا وهدأت من رَوْعتى .. ماذا أفعل ... وأنا من أنا ... فتاة محطمة ... بنت الباشا الكبير قوى وبنت الهانم سيدة المجتمع ... وأخت فلان بيه ... الكل يتمنى الزواج منى ويتمنى رضاى، بنت جميلة مثقفة وحسب ونسب ومال وجاه لكن ... لقد حطمتنى تجربتى المريرة مع هذا الشاب الفلاح، الذى تجمل وتصنع وخدعنى بالكلمات الجميلة الرنانة المخدرة وفحولته ورقته واحتوائه ... و ... حتى أنهى دراسته الجامعية واختفى ... أين المبادئ التى يتحدث عنها؟! من الذى مارس معى الرذيلة؟ من الذى كذب على نفسه وخدعها ... من الذى تجمل على أسياده؟ حقًا أنك تمتلك أشياء قد لا أجدها فى غيرك وأفتقدها، لكن يا من كنت عشيقى إنك مريض نفسى ... وهذا خطئى ... !

لقد كرهت كل الرجال من أجلك وفقدت الثقة بهم من أفعالك ... وينقذنى والدى بتعيينى فى مكان مرموق فى البلد وأنغمس فى

العمل غير مبالية بنظرات زملائى فى العمل والفاضحة لنواياهم ، واعتزلت شلة الأصدقاء والصديقات والسهرات الماجنة ومحاولة تقييد مخالب الشهوة فى انتظار إطلاق حريتها عن طريق ما شرعه الله ... ويجىء مَنْ يخطبنى - زواج تقليدى - شاب ثرى ذو مركز مرموق وأسرة ذات حسب ونسب وجاه، يكبُرنى بسنوات تفوق نصف عمرى ... كان حَنُونًا وجلسته الأسرية ممتعة وجلسته الخلوية مريحة ... يا هل تُرَى ... سيحدث ما جرى ...؟

تزوجنا فى حفل عرس كان حديث الأهل والأصدقاء وعشت أيامًا جميلة متنقلة من بلد إلى بلد ... مرة فى أوروبا ومرة فى أمريكا ومرات فى شرق آسيا ومرات فى الغردقة وشرم الشيخ ... لقد تغيرت المتعة واللذة وأسلوب تذوُّقها ... هناك فرق بين هذا وذاك ... ماذا تفعل يا زوجى العزيز ...؟ إنك تجهل أبسط ألوان الإمتاع الحسى وفنونه، تجهل فنون الغرام وأنواعه إننى تواقة إلى سماع معسول الكلام أريد أن أرتوى ... وأرتوى ... أريد أن أستمتع لدرجة الإشباع بالعاطفة والجسد معًا أنت يا زوجى يا حلالى يا أمنية حياتى ... لكن للأسف يا زوجى أنك تحتاج لعلاج تأهيلى وربما لا يُجْدى معك العلاج ... لقد فات الأوان ... ماذا أفعل أنا أمام مخالب الشهوة المزعجة والتى تحررت من قيودها بزواجك أنت ... أجبنى ؟ لا إجابة شافية ... من أجل ذلك رضخت لنظرات زميل جديد فى العمل ، شاب يصغُرنى بعدة شهور ... حاصرنى

بنظراته القاتلة وكلماته المعسولة ... وجد منى القبول السريع لم أصده ... وتماديت معه وسعدت به لعله يكون مثل الفلاح الذى مضى، الأستاذ البارع فى فنون وألوان الإمتاع الحسى ...

وكانت المغامرة والخيانة والمتعة والكذب ، إنه حقًّا من فصيلة صاحبنا الذى مضى ... لقد وجدت الفتى مهران ... لن أتركه يضيع منى ... وأقارن بينه وبين زوجى ... لا بد من الطلاق ... لكن كيف ولم يمرَّ على زواجنا عدة شهور ولا يربطنا رباط الأولاد، والأهم من كل هذا وذاك أنه لا وجود له ... فلماذا أعيش معك لتضيع أحلى سنوات عمرى ...! فكان الطلاق بأمر وقوة نفوذ والدى ودهشة الأسرة وتوهان زوجى من هول المفاجأة ...

وأتزوج بمن أريد بعد أن انتهت العدة لا عن حب، فكما قال صاحبنا لقد مات الحب دون مقدمات وعاش العشق البدنى ... إنها تجربة غير محسوبة كطبيعتى ...

هل ستنجح أم لا ... !

هل أستطيع أتناسى فوارق الحسب والنسب والجاه والمال والثقافة الاجتماعية و .... ! مقابل الفوز بثقافة أخرى يجهلها غيره ... لعله يمنحنى البهجة والسعادة والنشوة التى تنشدها أية فتاة فى الدنيا ...

**الثالثة صباح يوم الجمعة ٢٠٠٦/٩/٢٩**

# ميـــراث الطمـــع

منذ طفولتى وأنا محاط من الجميع بسياج من الطاعة العمياء، فأنا الولد على أربع بنات والذى انتظره العمدة لأكثر من ربع قرن. فأقربائى وأهل البلدة كلهم يتقربون ويتوددون للعمدة عن طريق رضائى عنهم ...

كنت سعيدًا بهذه المعاملة فى الصِّغَر لكن عندما كبرت وعرفت الأشياء التى تدور حولى من نفاق ورياء وطمع، كرهت ذلك وكان ذلك يغُضّب العمدة ...

وبدأت أبحث عن سر عداوة أبناء عمتى لخالهم العمدة وأعمامى أخوالهم ..

لقد ظلم جدى عمتى فى الميراث فأعطى الأولاد الذكور الأربعة النصيب الأكبر ولم يعطِ عمتى سوى القليل القليل لأنها بنت، بل أصر جدى أن تبيع عمتى هذا النصيب القليل الذى لم يتعد الفدادين العشرة لأبى؛ لأنه سيرث العُمُديَّة بعده وعليه التزامات أكثر من إخوته. ونفذ جدى هذا الظلم على عمتى - رحمها الله - وأولادها لم ينسوا ما حدث وسيظل الكره هو ميراثهم ...

وألتحق بكلية الحقوق رغبتى منذ الصغر ، ولحبِّى لشخصية وكيل النيابة عندما كان يأتى إلى البلدة فى مأمورية عمل، أو لزيارة دوار العمدة بصحبة مأمور المركز ومهندس الرى. تمنيت أن أكون هذه الشخصية المحترمة المتزنة ... ويحزن والدى على ضياع العُمُدية من بعده، فأنا الابن الأوحد وقد اتخذت طريقًا آخر ربما سيسعد العمدة فيما بعد لكن العمدية ستذهب إلى أخيه الأصغر ، ولم يشغلنى أى شىء فى الدنيا سوى تخرُّجى بتفوق لأحقق ما أريد ولتحقيق العدل فى هذه الدنيا التى كثر فيها ضياع الحقوق بين الناس، بل بين أعز الناس. وأتخرج فى كلية الحقوق وأتشرف بالعمل فى النيابة العامة وأصبح ذهابى إلى البلدة قليلاً، وأتزوج كريمةَ أحدِ المستشارين الذين أعمل تحت قيادتهم ... نِعْمَ الزوجة: أدب وأخلاق وجمال، وأهم من كل ذلك تديُّنها المهذب الواعى العارف بحقوق الزوج وحقوق الأهل، أقصد أهل زوجها فأحبها كل من خالطها من أهل بلدتى خاصة أقربائى وأخواتى البنات وأبى، ولو كانت أمى فى قيد الحياة لأحبتها .

ويمرض أبى وأمكث بجواره أنا وزوجتى شبه إقامة كاملة معه ، وكنت أذهب إلى عملى بسيارتى الخاصة ثم أعود إلى البلدة مرة أخرى لأكون بجوار أبى. ويشتد المرض على والدى وأذهب به إلى أكبر مستشفيات القاهرة، لكن وافاه الأجل ولا بد أن ينفذ أمر الله، وبعد الوفاة بعدة أيام قمت بفتح خزنة والدى لعمل إعلام

الوراثة وتقسيم الميراث فى حضور أخواتى البنات وأبنائهن المتعلمين. وبدأت بقراءة الوصية على الملأ، ففوجئت بأن أبى كتب لى مائة فدان ، وكتب لكل بنت خمسة فدادين وكتب عمارة مصر الجديدة كلها لى وترك أموال البنوك لتُقسَّم بعد وفاته ...

ماذا أفعل يا والدى ؟ لماذا خالفت شرع الله ... لماذا ! ولم أذق طعم النوم فى هذه الليلة وجلستُ بجوارى زوجتى أكرمها الله بتنوير بصيرتها ...

- أنا عارفة يا أحمد أنت بتفكر فى أيه ...
- الحمد لله يا وفاء أنا معنديش طمع فى أى حاجة ...
- أنا عارفة كويس ...
- وأنتِ أيه رأيك يا وفاء ...؟
- هو ده عاوز كلام أنت رجل العدل ...
- بس هعمل أيه ...
- تعيد القسمة تانى وتأخذ حقك اللى ربنا قال عليه بس ...
- ربنا يكرمك يا وفاء أنا سعيد بيك وبقناعتك .
- يا سيادة الوكيل إلا الميراث، وبعدين عاوزين نربى أولادنا إن شاء الله بمال حلال ...

■ فعلاً أنا هلغى كل العقود اللى أبوى عملها ومضاها وهنعيد القسمة من تانى ...

ويتم عمل إعلام الوراثة، وأحدد يوم الجمعة يوم الأربعين لوفاة والدى لاجتماع أخواتى البنات وولد واحد لكل بنت؛ ليكون عين أمه أثناء قسمة الميراث ...

ونجتمع فى دوار العمدة الذى تربينا فيه : أخواتى البنات اللاتى راعيننى منذ صغرى بتدليلى والقيام على راحتى، وأختى الكبرى التى فى مقام أمى ...

■ أنا يا خواتى جمعتكم النهارده عشان هنرجع تانى فى قسمة أبوكم ...

■ يا أخوى ربنا يخليك لينا وأنت فاتح البيت وإحنا عايشين فى خير أبونا ...

■ أنا متشكر يا حاجَّة زينب، بس لازم نعمل كده أبوكم يستريح فى تربته. أبوكم متعلمش وكان متأثر بجدنا ... تقريبًا ده سلو عيلتنا ويمكن كل العيَل وكل الأعيان فى البلاد المجاورة، لكن شرع الله لازم يُطبق ...

■ خلاص إدينا أى حاجة صغيرة وإحنا راضيين.

■ لو سمحتى يا عيشة سيبينى أرجَّع الحقوق ...

■ اتفضل يا خوى ...

■ أبوكم سايب ١٢٠ فدان وكلكم عارفين هذه الأرض وأماكنها فين وعارفين مزروعة أيه ...

■ طبعًا يا خوى وربنا يخليك وتباريها البركة فيك ...

■ البركة فى ربنا ... أنتم أربع بنات وأنا الولد، يبقى أربع أنصبه للأربع بنات وأنا الولد بنصيبين ...

■ أنت عاوز تقول أيه يا خوى ...؟

■ أنا عاوز أقول إن لكل بنت فيكم بدل خمس فدادين يبقى لها عشرين فدان وأنا بدل المائة فدان، يبقى لى أربعين فدان...

■ بس ده كتير يا خوى ...!

■ مش كتير ، ده حق ربنا وربنا يبارك ...

■ الحاجة الثانية ...

■ هو فيه تانى ...!

■ أيوه تانى وثالث ورابع ...

■ اتفضل يا خوى ...

■ عمارة مصر الجديدة مكونة من ٦ طوابق أقصد أدوار، يبقى لكل بنت دور وأنا دورين بس، مش كل العمارة زى ما كان

أبوكم بايعلى بيع وشـرا عـامل عـقـد ومـوثّقـه فـى الشـهـر العقارى وأنا قطّعت العقد ده ...

- ربنا يكرمك يا أخوى ...
- الحاجة الثالثة بيت أبوكم، أقصد دوار العمدة .
- لا يا خوى، ده يفضل بيتك عشان اسم أبوك يفضل عايش وتحافظ عليه .
- يا جماعة اسمعوا أنا فعلاً هشترى منكم ...
- تشتريه منا إزاى ... ! ده بيت أبوك وكفاية كده يا خوى ...
- لا مش كـفـايـة، هنجـيب حـد يقـدر البـيت من الناس اللى بيـعـرفـوا فـى تسـعـيـر البـيـوت، ونقسّم المبلغ كلنا وأدّى كل واحدة فيكم حقها من بيت أبوها ...
- اللى أنت شايفه يا أخوى أعمله ...
- الحاجة الرابعة يا خواتى ولاد عمتكم ...
- مالهم دول كمان ...!
- أنتم عارفين جدكم ظلمهم ...
- طب وإحنا مالنا ...
- أنتم اللى بتقولوا إحنا مالنا ...!

■ نقصد مش أبوك اللى ظالمهم ...

■ يا جماعة، كان مفروض أبونا يرد لهم الظلم ده .

■ طب إحنا هنرد إزاى وأعمامك خدوا أرض زى أبوك ...!

■ أنا حسبت على قد ما قدرت، وهَنِدِّى أولاد عمتكم مبلغ من مال أبوكم الموجود فى البنوك واللى هنوزعه عليكم بحق الله...

■ إحنا موافقين يا خوى اللى أنت شايفه اعمله ...

■ على بركة الله ياللا قوموا جهزوا الغداء دلوقتى، الواحد استريح ويقدر ياكل بنفس ...

وتقوم أخواتى البنات وهن يبكين ويأخذننى فى أحضانهن ويقبلننى ويدعون لى ولزوجتى ولابنى عبد الله بكل خير، ويقبلنى أولاد أخواتى وينادون على آبائهم وباقى إخوتهم ويبشرونهم بما حدث ...

ويتجهون جميعهم إلى جنينة المنزل حيث توجد زوجتى وابنى عبد الله، ويقبلونهما ويشكرون زوجتى على مساعدتى على فعل الخير ...

وفى الجمعة التى تلتها مباشرة، جمعت أولاد عمتى فى نفس المكان وقصصت عليهم ما حدث وما علمت به وما عملته من

أجلهم. وهذا حق أمهم من أبى فقط، وكان مبلغًا كبيرًا لم يتوقعه كل من حضر أو سمع بعد ذلك ...

لقد ضاع الكره والحقد والحسد من قلوب أولاد عمتى، وحل الحب والعطاء والمشاركة والوجدان مكانهما ...

وما أدراكم من إخوتى وأولادهم وأزواجهم، وما أحاطونى به أنا وزوجتى وابنى من حب جارف ...

وأنت يا أبى، نم فى تربتك وأنت راضٍ عما فعلتُ من أجل الله ثم من أجلك. اللهم كن لنا ولأزواجنا وأولادنا وأهلينا وأحبابنا وليًّا فى الأمور كلها، وحافظًا لنا من مكر كل ماكر وحسد كل حاسد وحاقد وظلم كل ظالم. إنك على كل شىء قدير ...

فجر يوم الجمعة ٢٠٠٦/٦/١٦

# نعم أم لا

من أصعب مراحل عمر الإنسان مرحلة المراهقة ... من اجتازها بسلام وأمان أكمل حياته الدنيوية على خير، ومن تعسر فيها خسر كل شيء ...

وها أنا أمر بهذه المرحلة الخطيرة ... مرحلة الغليان ... مرحلة التمرد، لحظات سعيدة وأخرى تعيسة أحيانًا أحب كل من حولى ... ! أسعد بكل الناس، وفى أوقات أخرى أنغلق على نفسى ... أكره ... أرفض ... ! حالة نفسية مضطربة ... !

اقتربت من الله أكثر فوقانى الله شر هذه المرحلة. والتحقت بكلية الإعلام التى كانت حلم حياتى وتفوقت فى دراستها ... وها أنا الآن فى الصف الثالث أستعد لامتحان آخر العام ...

حتى فاجأتنى أمى بقدوم عريس يطلب الزواج منى ... ليس هذا وقته يا أمى ! أرجوكى يا أمى ! لقد جاءت أمه وخالته لتطلبا يدى ...

ما مواصفات هذا العريس يا أمى ...؟ لم يكن لى تجارب فى الحب ... فأنا أعيش فى الريف وأتمسك بمبادئ تقليدية كما يُقال أول حب وآخر حب هو زوجى العزيز ...

أريد أن أرى هذا العريس يا أمى ...

لا بد من تدبير مكان لرؤيته خارج المنزل حتى لا يسبب حرجًا لى ولا له، نجلس خارج منزلنا أحدثه ويحدثنى ... أراه ويرانى ثم نقرر آخر الجلسة بنعم أم لا ... وبرغم أنه من بلدتنا لكننى لم أعرفه ... !

وتحدد اللقاء وتقابلنا بصحبة أخى وأخته ... شخصية مثقفة ومتزنة ... رجولة فى تفكيره ... شكله وسيم ... روحه مرحة ... لكن يا لهول المفاجأة ... الحلو مبيكملش !

عريسى مصاب بشلل الأطفال منذ صغره ... أستغفر الله العظيم ... لا اعتراض على حكمك يا الله ... خالق كل شىء ولك الحكم يا الله ...!

ما ذنب هذا الشاب فى هذه الإعاقة البدنية ...! وعدت إلى منزلنا والله يعلم بحالتى ... لم أذق طعم النوم فى هذه الليلة ...

أبى وأمى وأخى يسألوننى : ما رأيك يا بنتى ! يسرح ذهنى فى ماذا ! لا أعرف ... ماذا أقول !

أيستطيع هذا أن يحتوينى ويروى عطشى !

أيكون رحيمًا بى حنونًا ... عطوفًا ... يحبنى فأحبه ...

أيستطيع أن يُنْسينى أنه .... !

أستغفر الله العظيم لا اعتراض يا الله ... !

يقول إنه متعجل الزواج وإنه جاهز لذلك، شقته جاهزة بكل الكماليات ويمتلك سيارة فاخرة وعنده نقود بالبنك ...

أنت جاهز نعم لكن أنا كليتى ... طموحاتى ... أحلامى المتعددة متى سأحققها ... وأين سيذهب تفوقى ...؟!

لا أستطيع الزواج قبل أن أُنهى السنة الرابعة. يغرينى عريسى بأننى سأجد من يخدمنى ويخدمه خلال هذه السنة الدراسية ولا شىء سيؤثر على تفوقك ! اذهبى إلى كليتك وقتما تشائين وتعودى وقتما تشائين ... كيف هذا يا عريسى أنسيت أننى سأكون زوجة ! ... مطالبة بحقوق مثل ما لى وما علىَّ من واجبات كيف ذلك يا عزيزى ... أليس هناك حمل وولادة وما يتبعهما من صعوبات كثيرة ؟ مَنْ سيخدمنى ... ومَنْ سيتحملنى ...! دوامة كبيرة ... !

وهناك شىء آخر أخاف أن أتفوه به لكنه يدور فى هواجسى من قراءاتى فى علم النفس والاجتماع : يُقال إن كل صاحب عاهة جبار ... !

أخاف عليك يا عزيزى من الغيرة القاتلة ... إننى جميلة صاحبة جسد فارع وعيون زرقاوية جذابة وأنوثة مكتملة وبركان ثائر متمرد ... يريد من يخمده بقوة مستمرة حتى لا يثور مرات أخرى ...

أتسمح لى بممارسة الكتابة الأدبية وتسمح لخيالى الخصب بنسج قصص الحب التى انحرمت منها ولم أعشها إلا من خلال أبطال قصصى على الورق ... ؟ أتسمح لى أم تقول لى إنك خائنة ... لأنك عشتِ هذه اللحظات أو ما زلت تعيشينها ..؟ أشياء كثيرة يخجل الإنسان بصفة عامة والبنت بصفة خاصة أن تتناولها ... !

أريد أن أحدثك فيها ... ! أريد أن أسأل عنها ... ! أشياء مهمة أريد أن أطمئن عليها، أتستطيع أن تطمئننى ... !

حتى كلامك أجده معسولاً يغلفه الأدب والاحترام طوال جلستنا معًا ... يسرح ذهنى ويتملّكنى الشيطان ويخيفنى من أشياء أخرى، أسعد بحديثك وثقافتك وطموحاتك وعلمك الغزير فى الكمبيوتر والبرمجيات والمعلومات العامة والنواحى الاجتماعية، معجبة بإصرارك وقوة إرادتك ... لكن عندما حان الرحيل وانتهى اللقاء ... أحسست بشىء غريب ينتابنى ... أأستطيع أن أمشى بجواره وأتباهى بأنه زوجى ... ! البنت تتباهى بأن زوجها يفوقها فى كل شىء .. وما ذنبه .. ! إنه لم يقترف خطأ، إنها إرادة الله ...

أيستطيع أن يعوضنى عن هذا بأشياء أخرى ... لا أستطيع أن أقول نعم فيكون التسرع والندم ... ولا أستطيع أن أقول لا فيكون الظلم والافتراء ... أنا فى حيرة من أمرى ولا أجد من يفهمنى ويريحنى، فالوقت غير مناسب بالمرة ... عقلى مشتت بين الامتحان والحفاظ على تفوقى وبين أن أقول نعم أو لا ... يا أبى يا أمى يا أخى يا كل من حولى من أسرتى ... أمهلونى فرصة حتى أنتهى من الامتحان البسيط وأستعد للامتحان المعقد ... !

مهلاً يا أم زوجى يا أم عريسى ليس من أول لقاء أستطيع أن أقول موافقة أو غير موافقة ، وليس هناك وقت لتجدُّد اللقاء ... مهلاً ولا تتعجلى. لقد قمت وتوضأت وصليت صلاة الاستخارة ونمت واستيقظت، وانتظرت النتيجة وما زلت أنتظرها ...

مهلاً يا كل من حولى، أمهلونى بالله عليكم لا تقسوا على وتتهمونى بالتمرد بالعصيان، إنه قرار مصيرى وليس كلمة بسيطة أقولها نعم أم لا ...

فجر يوم الأحد ٢٠٠٦/٥/٢٢

# صـــدر للمـؤلف

| | |
|---|---|
| ■ دموع الندم | قصة سينمائية |
| ■ لقاء غير منتظر | قصة سينمائية |
| ■ قتلت نفسى بيدى | قصة سينمائية |
| ■ القاتل البرىء | قصة سينمائية |
| ■ البيت الكبير | مجموعة قصصية |
| ■ بنتى أمريكية | مجموعة قصصية |
| ■ عظيمة | مجموعة قصصية |
| ■ يوميات مأمور جمرك | مسرحية من ٣ فصول |
| ■ طلائع بلادنا | للطلائع - جزءان |
| ■ حكاية توشكى | ملحمة وطنية شعرية للأطفال |
| ■ العنزة المعجزة | ( من سلسلة حكايات جدتى ) للأطفال |
| ■ اليـــوم الأول فـى العـــام الدراسى | ( من سلسلة مـــدرســـتى ) للأطفال |

■ سلسلة (ولد وبنت) ضمن مهرجان القراءة للجميع - مكتبة الأسرة لعام ٢٠٠٢ فى ١٣٧ قصة للأطفال ( سلوكيات ) فى خمسة عشر كتابًا :

- أجمل مدرسة .
- حكايات فضولى .
- أحلى الأعياد .
- مصر حبيبتى .
- رحلات .
- البنت المغرورة .
- البنت زى الولد .
- الصياد الصغير .
- الدنيا حلوة .
- فانوس رمضان .
- الهدية .
- جنة ونار .
- ماما حبيبتى .
- قشرة موز .
- المحبة والسلام .

■ والكتاب الإرشاى . دليل الحاج والمعتمر للحج والعمرة

■ أحلام الطفل العربى شعر للأطفال

صدرت ضمن مهرجان القراءة للجميع - مكتبة الأسرة ٢٠٠٣ ( روائع أدب الأطفال ) .

■ بيئتى دنيتى

عن البيئة للأطفال صدر منها ثمانية كتب :

- الهواء وتلوث الهواء .
- الماء وتلوث الماء .
- النباتات والأشجار .
- الأرض والتربة الزراعية .
- الغذاء وتلوثه وأضراره .
- النفط وتكوين البترول .
- الطاقة وتلوث البيئة .
- الأوزون .

■ التعلب والحية (سلسلة حكايات جدتى) للأطفال

■ دليلك فى سفرك ووصولك

الطبعة الأولى - الثانية - الثالثة (عدة طبعات خلال السبع الرابعة - الخامسة - السادسة عشرة سنة الماضية)

## ■ تحت الطبع بإذن الله :

- ورود وأشواك — قصة سينمائية
- همام والثأر — قصة سينمائية
- سليم وشحات — رواية
- أغرب القضايا الجمركية — فى صورة قصصية
- مسرحية مدرستنا — للأطفال
- أطفال مصر — ديوان شعر للأطفال
- لا ( لكل شىء ضار ) — ديوان شعر للأطفال
- بنت مصر العربية — شعر للطلائع
- جيل المستقبل — سلسلة للأطفال الكبار
- خلود — سلسلة للأطفال الكبار
- أنهار الدنيا — سلسلة للأطفال الكبار
- كيف يُصنع الكتاب؟ — للأطفال
- نجوم فى سماء الحضارة المعاصرة — للأطفال الكبار
- طلائع العرب فى دولة الإمارات — للأطفال الكبار
- حكاية ميرنا — سلسلة حكايات طفولية
- الجمارك المصرية

(سلسلة الثقافة الضريبية) للأطفال الكبار

- لوجيستيات الجمارك — كتاب تخصصى

# الفهرس


| الموضـــــوع | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة | 3 |
| أبو خُنَّة | 5 |
| اختناق الحب | 15 |
| الحب المفقود | 22 |
| الحقونى ! | 40 |
| الكوبَّانيَّة | 54 |
| المدَّخر الأعظم | 63 |
| المدير العام | 73 |
| المعاش | 79 |
| أنا والنملة | 86 |
| إنى امرأة | 97 |
| باى باى | 104 |
| خالى والعاهرة | 112 |
| روح حبيبى | 122 |
| زوج بيئة | 134 |
| صبر أيوب | 151 |

| الموضـــــوع | الصفحة |
|---|---|


صديقتى ماما ..... 158

عروسة لزوجى ..... 177

عضو البرلمان ..... 184

عطاء الله ..... 193

غرباء ..... 202

مخالب الشهوة ..... 207

ميراث الطمع ..... 215

نعم أم لا ..... 223

صدر للمؤلف ..... 229

المحتوى ..... 233